Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

الفكر الجغرافى وعلم الجغرافية فى القرن العشرين

الاجتهاد الجغرافى العلمى وتوجهاته :

دخلت مسيرة الفكر الجغرافى الحديث القرن العشرين ، وهى فى كنف إجتهادات كل المدارس الجغرافية الوطنية التى نشأت – بالفعل – ورسخت وجودها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وهذا معناه أنها ظفرت بأكثر من فريق مجتهد ، يوليها إهتمامه ويرعى خطواتها ، ويسجل الإضافة إليها وتنمية رصيدها وتحسين أدائها . ومعناه أيضاً أنها ظفرت بروح التعاون بين المدارس الجغرافية الوطنية، ولم تتضرر ببعض الإختلافات الفكرية فيما بينها.

ومن الجائز أن نلمس بعض الإختلاف بين إهتمامات المدارس الجغرافية الوطنية ، التى تولت مسئولية الفكر الجغرافى ، وخدمت أداء الجغرافية العلمية فى القرن العشرين ، ومن الجائز أيضاً أن نستشعر بعض التفاوت فى جدوى الإجتهادات الجغرافية التى أخلصت لها هذه المدارس الجغرافية الوطنية ، إخلاصاً حقيقياً لحساب أداء جغرافى علمى أفضل فى القرن العشرين . ولكن الذى لا نشك فيه ولا نتشكك فيه ، هو إلتزام كل هذه المدارس الجغرافية الوطنية إلتزاماً صريحاً وكاملاً بتطوير مسيرة الفكر الجغرافى الحديث . ومن وراء هذا الالتزام كان القبول بالاضافة والإبداع والتجديد ، دون خروج ، أو تمرد ، أو بعد عن الخط الصحيح وصولاً إلى الهدف ، أو دون المساس بالتركيب الهيكلى لبنية الجغرافية الأساسية ومجالاتها الوظيفية الموضوعية .

وفى المرحلة التى تمثلت فيها وسيطرت هذه الروح فى النصف الأول من القرن العشرين ، صعد الفكر الجغرافى صعوداً حقيقياً إلى مكانة مرموقة ، وهو يحمل على عاتقه الأداء الجغرافى الممتاز ، ويضع علم الجغرافية فى مكان مناسب ، بين زمرة العلوم الطبيعية والانسانية المتخصصة . وقد بنى ذلك الفكر الجعرافى الحديث – بكل تأكيد – على كل أسباب ونتائج وأصالة الإجتهاد الجغرافى السابق فى كل مرحلة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مراحل نمو ونضج وتطور مفاهيمه ، من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر . ومن ثم كرس إهتمامه ووظف علم الجغرافية فى توسيع وتنمية المعرفة الجغرافية ، طلبًا للرؤية الجغرافية الأفضل طبيعيًا وبشرياً .

وهكذا برهن الفكر الجغرافى الحديث على أنه فكر طيع ، لأنه اعتمد - بكل ذكاء - على حسن استثمار نتائج التطور العلمى الذى أسفر عنه الفكر البشرى بصفة عامة من ناحية ، ولأنه تشبث - بكل اقتناع - بأهم المفاهيم المنطقية الجغرافية الراسخة عن الأرض والناس من ناحية أخرى ، ولحساب أداء جغرافى عملى أفضل . ومن ثم خلق علم الجغرافية فى القرن العشرين خلقًا جديداً وسوياً . واكتسبت الجغرافية وجهاً متميزاً ، لكى تعبر عن مدى كفاءة الإجتهاد الجغرافى العلمى ، وهو يطور إستخدام حسه الجغرافى الذكى بصدق ومرونة ، فى استطلاع أبعاد الرؤية الجغرافية الأفضل طبيعياً وبشرياً .

واشراقة قسمات هذا الوجه الجديد ، للفكر الجغرافى الحديث فى مطلع القرن العشرين ، كانت - بكل الصدق - غير متوافقة مع توتر قسمات الوجه القديم الذى عاش به هذا الفكر نفسه ، وهو يبلور ذاته ويجسد أهدافه على المدى الطويل السابق للقرن العشرين . وثمة عوامل متعددة وإجتهادات مستمرة قد أسفرت عن تحدد ملامح هذا الفكر الجغرافى الحديث ، وقادت أو وجهت مسيرته المتأنية ، ورشدت خطواته فى الوجهة الصحيحة ، بقدر ما بثت فيه روح ومنطق القبول بالتحويل وتعديل المسار ، والتطور التطلع إلى التغيير والتطوير إلى الأفضل .

هذا ولم يكن غريباً - على كل حال - والإجتهاد الجغرافى نشيطاً ، يلهث وراء الرؤية الجغرافية الأوسع والأعمق ، أن يصنع هذا الفكر الجغرافى الحديث من إنتاج أو حصاد المدارس الجغرافية الوطنية فى القرن العشرين ، علماً مفيداً ، من حيث الصورة والشكل ، ومن حيث المنطق والأسلوب ، ومن حيث الجوهر والموضوع . بل ولم يكن غريبًا أيضًا ، أن تتخذ الجغرافية ، وهى الوعاء الجامع والمصور لهذا الفكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديث ، سمة العلم المتخصص ، بكل ما يعنيه التخصص من حيث المظهر ، ومن حيث المضمون ، ومن حيث الهدف .

وما من شك فى أن التحول البناء ، الذى أدخل الفكر الجغرافى الحديث أو زج به فى أطوار التغيير ومراحل التطور ، قد بنى أساساً على ثمرات الإجتهاد الفكرى التجريبى ، والإجتهاد الفكرى الفلسفى ، على مدى أكثر من ثلاثة قرون سابقة للقرن العشرين . كما بنى أيضاً على تصاعد مبدأ التساؤل والالحاح فى طلب التفسير العقلى المقنع الكاشف، لكنه وماهية الحقيقة الجغرافية ، التى تدرك أبعادها الرؤية الجغرافية بالبصر والبصيرة ، فى أنحاء الأرض .

وقد فرض الإجتهاد الفلسفى على وجه الخصوص ، هذا المبدأ فرضاً حاكماً على الفكر البشرى ، وهو يستوعب ثمرات النهضة المادية والفنية والروحية بصفة عامة ، وكان هذا المبدأ خطيراً ، لأنه قد فجر بالفعل كل التحولات الإيجابية المثيرة ، التى أسفر عنها التفكير وأعمال العقل وشحذه ، وحسن إستخدامه وصولاً إلى تفسير كاشف مقنع . وهذا معناه أن فرض التحول من مجرد إدراك الحقيقة، إلى قبول العقل لجوهرها ، وتفهم النتائج التى تترتب عليها .

وفى الفكر الجغرافى ، بدلاً من أن كان الإجتهاد الجغرافى مكتفيًا بسرد الحقائق ، وقبولها استسلامًا لوجودها الفعلى ، وبدلاً من أن ينكب هذا الإجتهاد الجغرافى على عرض صورة أو رؤية هذه الحقائق الجغرافية عرضًا مشوقًا تعبيراً عن وجودها الفعلى ، أصغى هذا الإجتهاد بكل الإهتمام – إلى هدير التساؤلات الجادة ، التى مست صميم وجوهر هذه الحقائق الجغرافية . ومن قبيل الإستجابة لهذه التساؤلات الجادة ، بحث الإجتهاد الجغرافى بحثاً مستفيضاً واستنفر الفكر ، لكى يتدبر ويفكر ويدلى بما يراه الأنسب عن جوهر هذه الحقائق الجغرافية. والفرق كبير – بكل تأكيد – بين فكر جغرافى سطحى ، يعرض الصور ويدرك الحقائق التى تحتويها الرؤية الجغرافية ، وفكر جغرافى عميق ، يتسلل إلى الجوهر ويلتمس العوامل ، التى أسهمت فى صياغة جوهر الحقائق التى تنطق بها الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولئن أشاع هذا التساؤل الملح فى الإجتهاد الجغرافى فى القرن الثامن عشر ، الرغبة والتطلع إلى تقصى الحقائق الجغرافية ، ودراسة الواقع الجغرافى دراسة تصل إلى التفسير ، فلقد وجه العمل الجغرافى فى القرن التاسع عشر هذا الإجتهاد فى الإتجاه الباحث عن العلاقة الواقعية، بين العوامل التى تكون متداخلة فى اطار الظاهرة الجغرافية المعنية . ومن الجائز أن الرغبة فى التفسير ، قد أحدثت إنقلاباً وتحولاً جغرافيًا علمياً مفيداً، وأدت إلى شحذ الفكر الجغرافى وتنشيطه . ولكن المؤكد أن البحث الجغرافى عن العلاقة أو العلاقات ، قد وجه الفكر الجغرافى وجهة الربط ، وربما كان ذلك من وراء إدراك تكشفت له معامل الإرتباط ، بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة البشرية . ومن ثم إستغرق هذا الإدراك بعد ذلك فى تقصى حقيقة التأثير المتبادل فيما بين هاتين الظاهرتين .

وهكذا ، أفلح الإجتهاد الجغرفى من خلال التفسير حيناً ، ومن خلال إدراك العلاقة حيناً آخر ، فى إضافة الجديد الكاشف عن الرؤية الجغرافية . بل لقد أضافت هذة الرؤية الجغرافية التى أسقط الفكر الجغرافى الحجب عن بعض أبعادها شيئًا مفيداً إلى رصيد البشرية من المعرفة الجغرافية . ومن ثم قدم هذا الإجتهاد الجغرافى إلى القرن العشرين مسيرة الفكر الجغرافى المدعومة بالقواعد والأصول ، التى صنعت من هذا الفكر علماً متخصصاً مفيداً .

وهذا معناه أن الاضافات التى أسفر عنها الاجتهاد الجغرافى على مدى أكثر من ثلاثة قرون ، أصبحت ميراثاً ثرياً للفكر الجغرافى الحديث فى القرن العشرين . وكان أهم ما احتواه هذا الميراث الشكل العلمى للجغرافية ، وقبول هذا الشكل للتطور والتجديد . وهذا معناه أيضاً أن الدراسة الجغرافية المتخصصة فى أحضان المدارس الجغرافية الوطنية ، التى ورثت هذا الميراث الثرى ، أصبحت – بكل الموضوعية – علماً هادفاً ، فى الإطار العلمى الأصولى الصحيح .

وكان من شأن علم الجغرافية المتخصص ، أن يتقصى الحقائق الطبيعية فى أحضان الواقع الطبيعى ، على أى مستوى من المستويات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى المكان ، وأن يمحصها ويجلو الغموض عن ماهيتها ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، وأن يتبين الضوابط الحاكمة للتوزيع ، والعوامل الكاشفة للتعليل ، والعلاقات المبنية على الربط . كما كان من شأنه أيضاً ، أن يتقصى الحقائق البشرية فى أحضان الواقع البشرى، على أى مستوى من المستويات فى المكان ، وأن يمحصها ويجلو الغموض عن ماهيتها وإحتمالات التغير التى تتعرض لها ، من خلال التوزيع والتعليل والربط، وأن يتبين الضوابط الحاكمة للتغيير ، والعوامل الكاشفة لنتائجه ، والعلاقات المترتبة عليه .

بل تتجاوز الجغرافية ذلك كله ، وصولاً إلى حد دراسة وتمحيص العلاقة الموضوعية ، المبنية على التفاعل الحياتى بين الواقع الطبيعى بكل أبعاده وضوابطه الحاكمة فى جانب ، والواقع البشرى بكل إجتهاداته وإنجازاته المتطورة والمتغيرة فى جانب آخر . وهذا معناه أن الجغرافية قد وسعت أهدافها وتطلعاتها فى القرن العشرين . ومعناه أيضاً أنها لم تعد تقنع بدراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية دراسة منهجية أصولية لذاتها . بل قل كانت توجه البحث وأداءه الوظيفى فى إتجاه أهداف موضوعية متعددة ، لحساب الحياة والإنتصار لارادتها ، فى أحضان أى مكان على الأرض .

ولكى تكون دراسة الظاهرة المعنية موضوعية وهادفة من وجهة النظر الجغرافية ، التى حدد أبعادها الإجتهاد الجغرافى فى القرن العشرين ، تتعرف الجغرافية على هذه الظاهرة المعنية أولاً ، وتجلو الغموض عن كل ما يتأتى عمقاً وإتساعاً من ورائها ثانياً . وعندئذ تطلب الجغرافية وتحقق الهدف المثمر عن كنه وماهية هذه الظاهرة ، لحساب الحياة . وقد يتمثل هذا الهدف فى إدراك وإستشعار أثر هذه الظاهرة المعنية ، المباشر وغير المباشر ، على مصلحة الإنسان ومسيرة حياته فى المكان . وقد يتمثل هذا الهدف مرة أخرى ، فى إدراك وإستشعار ، كيف كانت هذه الظاهرة وليدة تفاعل حيوى وبناء . وعندئذ تتدارس الجغرافية هذا التفاعل ، وتحدد دور العوامل التى تصنع هذا التفاعل، وهو يترك بصماته على الظاهرة المعنية .

وهكذا تتجلى – بكل الوضوح – ميزة الدراسة الجغرافية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوعية في القرن العشرين . وهي – من غير شك – دراسة تنجح في إستخلاص نتائج مفيدة ، مبنية على نتائج علمية طبيعية ، أو علمية إنسانية ، لكي تبصر وترشد مسيرة الحياة في الأرض . وهذا معناه أن الفكر الجغرافي الحديث في القرن العشرين قد اكتسب مرونة وعمقاً في وقت واحد ، وهو يحسن إستخدام الإجتهاد الجغرافي ، في تقصي الكل من خلال الجزء، أو في تقصي الجزء من خلال الكل . بل لقد هيأ الفكر الجغرافي الحديث الفرص ، لكي يتفوق الإجتهاد في صياغة البحث الجغرافي ، وتجسيد النتائج الكاشفة لحقيقة وكنه وجوهر ، أي ظاهرة معنية في المكان والزمان .

ومن خلال القدرة على التحليل الكاشف عن الجوهر ، ومن خلال القدرة على التركيب المؤلف بين النتائج ، تؤكد جغرافية القرن العشرين جدوى وفاعلية ونجاح اجتهادها الجغرافي . ذلك أنها تسجل – من غير شك – الإضافات وتبدع النتائج المفيدة ، من بعد أن تصل العلوم المتخصصة الطبيعية أو البشرية إلى النقطة التي تتوقف عندها ، وتنهي مهمتها وأداء دورها العلمي الباحث . بمعنى أن تتخذ من نتائج هذه العلوم نقط إنطلاق وتوثب ، إلى نتائج حيوية مفيدة ، لحساب الحياة .

هذا وليس أصدق من المثل في التعبير عن حقيقة تفوق الأداء الوظيفي العلمي ، والجغرافية تحقق ذاتها وتمارس من خلال القدرة على التحليل والتركيب ، البحث الذي يسفر عن نتيجة أو نتائج مفيدة ، تنتفع بها مصالح الحياة في الأرض . وفي هذا المثل ، نتبين كيف تبدأ إهتمامات الإجتهاد الجغرافي – بالفعل – عندما تنتهي مهمة أي علم متخصص ، ويعطي خلاصة النتيجة التي توصل إليها الأداء الوظيفي المتخصص في هذا العالم ، وكيف يطوع الجغرافي ويطور ويضيف إلى هذه النتيجة ، فتكون نتيجة جديدة .

ودراسة الحرارة وتسجيلها ورصدها اليومي ، وغير ذلك مما يهم الإجتهاد الجغرافي في دراسة المناخ ، يدخل – بكل تأكيد – في صميم إهتمام الاجتهاد المتخصص الباحث في علم الميترولوجي . وقد يجد هذا الباحث المتخصص في علم الميترولوجيا ، في إنخفاض الحرارة لكي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسجل الدرجة الدنيا ، أو فى ارتفاع الحرارة ، لكى تسجل الدرجة العظمى فى اليوم ، وفى كل يوم ظاهرة جوية ، تستوجب الرصد والتسجيل والمتابعة ، بقدر ما تستوجب البحث الميتروالوجى المجرد . وقد يسعى هذا الباحث - بكل الخبرة المتخصصة - إلى تفسير هذا الإرتفاع فى درجة الحرارة تارة ، وهذا الإنخفاض تارة أخرى . وقد يسعى هذا الباحث أيضاً - بكل الخبرة المتخصصة - إلى الربط وتبين العلاقة بين هذه الظاهرة الجوية ، وظاهرات جوية أخرى ، مثل حالة الضغط الجوى وتحركات الهواء أفقياً ورأسياً . والباحث الميتروالوجى المتخصص ، عندما يهتم بذلك كله ، ويخضع هذه الظاهرة لقواعد وأصول علم الميتروالوجى ، لا يكاد يخرج من إطار دائرة محددة ، تطوق فكره ، ويفرضها التخصص الدقيق من حوله . ومن ثم يفرغ من مهمته وأداء دوره الوظيفى المتخصص ، ويسجل النتيجة أو النتائج الجيدة ، وهو مقتنع اقتناعاً كاملاً أنه قد أخلص فى أدائه ، وأنه قد أنجز ما ينبغى عليه إنجازه .

وعندئذ يتقدم الجغرافى الذى لا تقنعه قيمة هذه النتائج ، ويستنفر إجتهاده - بكل الخبرة المتخصصة - لكى يبنى على هذه النتائج نتائج مثمرة وموضوعية وقيمة ، لحساب الحياة . ولكى يحقق الإجتهاد الجغرافى ما يصبو إليه ، ويسجل الإضافة التى يرتضيها الفكر الجغرافى الحديث ، يجتاز هذا الإجتهاد حدود الدائرة الضيقة التى طوقت فكر الميتروالوجى ولا يتقيد بقيودها . وعندئذ ، ينطلق الإجتهاد الجغرافى - بكل الخبرة المتخصصة - إنطلاقاً بناء إلى تسجيل ثمرة أداء وظيفى يسفر عن إضافة مفيدة . وقد تكون الإضافة لكى تعبر عن رؤية الجغرافى ومتابعة عن العلاقة بين إرتفاع درجات الحرارة إلى النهايات العظمى أو إنخفاضها إلى النهايات الصغرى من ناحية ، وحياة ومصالح الناس فى الحياة من ناحية أخرى . أو قد تكون الإضافة لكى تعبر عن رؤية الجغرافى أثر هذه الظاهرة المعنية على الظاهرات الأخرى ، سواء كانت طبيعية أو بشرية . وهذا معناه أن يتعقب الإجتهاد الجغرافى أثر هذه الظاهرة الجوية المعنية ، وأن يسفر هذا التعقب عن نتائج حقيقية تنتفع بها مسيرة الحياة وتشد أزر وجودها فى المكان والزمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبهذا المنطق الموضوعى ، ينبغى أن ندرك كيف أصبحت النظرة التى يطلبها الفكر الجغرافى من الإجتهاد الجغرافى ، وهو يحسن إستخدام قدراته التحليلية والتركيبية فى دراسة ظاهرة معينة ، نظرة موضوعية وعلمية من حيث الجوهر ، ومطلقة بغير حدود من حيث الهدف . وإنخفاض درجة الحرارة مثلاً إلى ما دون الصفر المئوى مسألة لا تفوت الاجتهاد الجغرافى ، وهو يستشعر الأثر المباشر على حالة النمو النباتى وشكل الصورة النباتية ، أو وهو يدرك الخطر الذى يتهدد الزراعة ، أو وهو يحسب حساب معنى توقف الملاحة البحرية وتضرر التجارة الدولية . ومن شأن هذا الإجتهاد الجغرافى أن يتدارس مدى القدرة على ترشيد الحياة ، وهى تواجه كل النتائج التى يتسبب فيها الإنخفاض فى درجة الحرارة إلى ما دون الصفر المئوى .

ودراسة تركيب طبقات الأرض وتركيبها الصخرى وعمرها الچيولوچى ، وغير ذلك مما يهم الإجتهاد الجغرافى فى دراسة التضاريس ، يدخل - بكل تأكيد - فى صميم الإجتهاد المتخصص الباحث فى علم الچيولوچيا . وقد يجد هذا الباحث فى علم الچيولوچيا ، فى دراسة الجبال والسهول والهضاب وغيرها من أشكال التضاريس الموجبة عل سطح الأرض ، أمراً يهمه ويستحق بحثه بكل العمق والموضوعية . ويكون ذلك الإهتمام - بكل تأكيد - من قبيل الإستجابة لأهداف البحث الچيولوچى العلمى المتخصص . ومن شأن الچيولوچى أن يسخر إجتهاده الچيولوچى ، فى دراسة تكوين هذه الظاهرات التضارسية ، وتصور العوامل التى أدت إلى تكوينها . ومن شأنه أيضاً أن يسخر إجتهاده فى دراسة متخصصة تبين وتقدر العمر الچيولوچى، الذى ينبئ به التركيب الصخرى للظاهرة التضاريسية المعنية . وقد يؤسس الچيولوچى ، على ذلك كله ، تصوراً مفيداً يحكى قصة وسياق التطور الچيولوچى التى انتهت إلى خلق وتكوين الظاهرة التضاريسية المعنية ، أو يبصر البحث عن الثروة المعدنية ومعينها الثرى فى التراكيب الصخرية .

وعند هذا الحد ، يتوقف الإجتهاد الچيولوچى ، وهو مقتنع اقتناعاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علمياً كاملاً ، أنه قد حقق كل النتائج ، التى يستهدفها دوره الوظيفى العلمى المتخصص . وما من شك فى أنه قد حقق بالفعل – أهداف التخصص الجيولوجى ، وأجرى بحثه حسبما تفرضه قواعد وأصول علم الجيولوجيا . ولكن المؤكد أن هذا الإجتهاد الجيولوجى المتخصص قد أدى دوره الوظيفى فى إطار دائرة محددة بفرض أبعادها التخصص الجيولوجى العلمى الدقيق . ومفهوم أن هذا الإجتهاد الجيولوجى قد كف أو توقف بعد أن حقق أهدافه الأصولية ، لأنه لا يجد سببًا وجيهاً يدعوه أو يلزمه بالخروج من إطار دائرة التخصص ، أو يحفزه لأن يفعل ويضيف أكثر مما أضاف .

وعندئذ يتقدم الجغرافى الذى لا تقنعه هذه النتائج . ويستشعر الإجتهاد الجغرافى المسئولية ، وهو يبنى على نتائج العمل الجيولوجى العلمى ، نتائجًا جديدة ومثمرة ، بقدر ما هى موضوعية وهادفة ، لحساب الحياة ، ولكى يحقق الإجتهاد الجغرافى ما يصبو إليه ، ويسجل إضافة وإبداع الفكر الجغرافى العلمى الهادف ، يتجاوز حد الدائرة الضيقة التى ضيقت الخناق على الجيولوجى ، فى إطاره التخصصى العلمى ، ولا يلتزم أو يتقيد بقيودها الصارمة . ورغم إهتمام إجتهاد الجغرافى بكل النتائج الممتازة التى أسفر عنها الإجتهاد الجيولوجى ، ورغم إستيعاب ما تعنيه وما تعبر عنه كل هذه النتائج الجيولوجية العلمية الأصولية ، واستشعار مدى الإنتفاع الحيوى والجاد بها ، ينطلق هذا الإجتهاد الجغرافى لأداء دوره الوظيفى التخصصى العلمى ، طلبًا وتطلعاً إلى الإضافة المفيدة .

وقد يجد الإجتهاد الجغرافى أن يحقق هذه الاضافة ، من خلال دراسة العلاقة ، بين الظاهرة التضاريسية المعنية ، والنمو النباتى الطبيعى أو الزراعة فى أحضان التربة المشتقة من تركيبها الصخرى ، وقد يجد هذا الإجتهاد الجغرافى أيضاً أن يحقق هذه الاضافة ، من خلال تصور العلاقة الإيجابية أو السلبية بين شكل وتكوين الظاهرة التضاريسية المعينة ، وحركة النقل التى تخترق حاجز المسافة ودرجة وعورته فى أحضان هذه الظاهرة ، أو من خلال إدراك أثر هذا التضرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومقدار وعورته . فى الفصل بين السلالات ، أو المجموعات اللغوية ، أو فى دعم الحد السياسى وتأمين مهمته لدى الفصل بين سيادة الدول .

وإنطلاقة الفكر الجغرافى الحديث فى القرن العشرين ، إلى مثل هذه الدراسات الموضوعية الهادفة ، لكى يتجاوز الإجتهاد الجغرافى الأثر إلى المؤثر ، أو النتيجة إلى السبب ، يؤكد عمق وتخصص علم الجغرافية. كما أن إنطلاقة الفكر الجغرافى الحديث إلى مثل هذه الدراسات الموضوعية الهادفة ، التى تطور وتضيف إلى نتائج العلوم الطبيعية أو الى نتائج العلوم الإنسانية، يؤكد كفاءة الدور الوظيفى ومرونة علم الجغرافية ، هذا بالاضافة إلى أن إتساع رؤية الإجتهاد الجغرافى لكى يغطى أى مساحة وصولاً إلى مساحة العالم كله ، فإنه يؤكد مرونة علم الجغرافية مرونة كاملة .

وهكذا أصبح علم الجغرافية فى النصف الأول من القرن العشرين الأنسب (١) ، وهو يستوعب الفكر الجغرافى الحديث استيعاباً متخصصاً ، أو هو يسعف حركته المتطورة ومسيرته المتجددة ، إستجابة لإرادة الحياة . وما من شك فى أن الفكر الجغرافى الحديث قبل بالتطور والتجديد والإضافة ، لكى يساير التخصص العلمى الجغرافى، ويخدم النمو الحيوى المتطلع إلى الأفضل . وقد تبارت المدارس الفكرية الجغرافية الوطنية فى اثراء هذا الفكر ، وفى حسن صياغة التخصص العلمى الجغرافى . وتولى بعض الصفوة المتازة من رجال هذه المدارس ، مهمة التطوير والإثراء من خلال تفكير جغرافى منفتح ومتفتح ، فى شكل بحث مكتبى ، أو فى شكل بحث ميدانى . والمؤكد أن هذين الشكلين من أشكال البحث كانا يتكملان وصولاً إلى الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان ، التى تصور كفاءة الأداء الجغرافى العلمى المتخصص .

---

(١) من أجل تحديد جوهر العلاقة الحقيقية بين الفكر الجغرافى والجغرافية ، نذكر أن الفكر الجغرافى هو جغرافية بالقوة ، وأن الجغرافية هى فكر جغرافى بالفعل . بمعنى أن علم الجغرافية يمثل الإجتهاد العلمى الذى يتولى مهمة التعبير ، عن الفكر الجغرافى وتحقيق أهدافه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتأسيساً على ذلك ، أصبح إهتمام التخصص الجغرافى بالبحث المكتبى أو البحث الميدانى ، وصولاً إلى التعميق على المستوى الرأسى أو وصولاً إلى التوسيع على المستوى الأفقى ، مطلوباً . ومن ثم تحمل الإجتهاد الجغرافى هذه المهمة بكفاءة ، فى إطار عدد من الدوائر فى وقت واحد . وقد يواجه هذا الإجتهاد الجغرافى المشقة ، عندما تتداخل هذه الدوائر ، وتؤدى إلى درجة من درجات التعقيد . وقد تتجلى كفاءة الأداء الذى لا يعبأ بهذا التدخل ، ويتولى مسئوليته من غير إخلال أو خروج أو تمرد ، على قواعد وأصول التخصص العلمى الجغرافى الهادف .

ومن خلال الإلتزام بالموضوعية العلمية الجغرافية للتخصصة ، تتكامل ثمرات البحث الجغرافى فى هذه الدوائر، تكاملاً سليماً وسوياً ، لكى يفى الإجتهاد الجغرافى بتطلعات الفكر الجغرافى الطموحة ، ولكى يحقق هذا الإجتهاد ما يصبو إليه الفكر الجغرافى ، من إضافات إيجابية مفيدة . وهذا معناه أن الإجتهاد الجغرافى الذى إستجاب لإرادة الفكر الجغرافى الحديث ، قد أكسب الأداء الوظيفى العلمى الجغرافى مرونة وموضوعية .

ومن شأن المرونة فى الأداء الوظيفى التخصصى ، أن تكون مطلوبة – بكل الموضوعية – لكى تسعف الإجتهاد الجغرافى ، وهو يدرس الكل من خلال الجزء ، أو هو يدرس الجزء من خلال الكل ، إنجازاً للبحث بشقيه المكتبى والميدانى . ومن شأن الموضوعية فى الأداء الوظيفى التخصصى أن تكون مطلوبة – بكل المرونة – لكى تحيط الإجتهاد الجغرافى علماً بالرؤية الجغرافية ، وهو يعالج الظاهرة الجغرافية المعنية من خلال التوزيع والتعليل والربط ، إنجازاً للبحث بشقيه المكتبى والميدانى .

ويقدر الإهتمام الجغرافى بالظاهرات الطبيعية الكاشفة عن واقع وخصائص الأرض ، والإهتمام بالظاهرات البشرية الكاشفة عن واقع وإمكانيات الناس ، ينبغى أن يكون التصدى للباحث عن الحقائق الجغرافية موضوعياً ومرناً فى وقت واحد . والموضوعية والمرونة معاً ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكفلان ترشيد الإجتهاد الجغرافى ، وهو يجسد أبعاد الشخصية الذاتية المتميزة للمكان . كما تكفلان أيضاً ترشيد هذا الإجتهاد ، وهو يتلمس ويتقصى التأثير المتبادل ، بين الواقع الطبيعى بكل ضوابطه الحاكمة فى جانب ، والواقع البشرى بكل إمكانياته الفعالة فى جانب آخر .

وهكذا أصبح الفكر الجغرافى الحديث فى النصف الأول من القرن العشرين ، حريصاً على توجيه الإجتهاد الجغرافى – بكل المرونة الموضوعية – إلى دراسة متكافئة ومتوازنة ومتكاملة عن الأرض ، وإلى دراسة متكافئة ومتوازنة ومتكاملة عن الناس . كما كان هذا الفكر الجغرافى ، أشد حرصاً على إنطلاق الإجتهاد الجغرافى إنطلاقاً علمياً متخصصاً – بكل الموضوعية والمرونة – إلى كنه وجوهر التفاعل الديناميكى بين الناس والأرض ، إنتزاعاً لحق الحياة وتأمين وجودها فى المكان والزمان .

ومن خلال هذا الحرص ، بارك الفكر الجغرافى الحديث ، إنقسام الجغرافية علمياً إلى قسمين رئيسيين متكاملين . ومن الجائز أن غلبت بعض المدارس الفكرية الجغرافية الوطنية ، الإجتهاد الجغرافى ، فى قسم من هذين القسمين على الآخر . ولكن المؤكد أن مدرسة من هذه المدارس الكثيرة على مستوى العالم ، لم تنكر أو لم تتنكر لهذا التقسيم العلمى المتوازن ، الذى تمثل فى الجغرافية الطبيعية على وجه ، والجغرافية البشرية على الوجه الآخر .

الإهتمامات الجغرافية الطبيعية والبشرية :

وفى الجغرافية الطبيعية ، يوجه الاجتهاد الجغرافى كل العناية والإهتمام إلى دراسة الواقع الطبيعى دراسة موضوعية علمية كاشفة لخصائصه ، فى إطار أى مساحة من الاقليم إلى القارة إلى العالم كله . **وفى الجغرافية البشرية** ، يوجه الاجتهاد الجغرافى كل العناية والإهتمام إلى دراسة الواقع البشرى دراسة علمية كاشفة لوجوده فى أحضان الواقع الطبيعى ، فى إطار أى تشكيل من الشعب إلى الأمة إلى الإنسانية كلها .

ومع ذلك فينبغى أن نفطن إلى أن التخصص فى أى من هذين القسمين ، لا يتعارض مع الترابط بين هذين التخصصين ، لأنه كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسيظل ترابطاً أصولياً . وكأن هذين القسمين الكبيرين ، وجهان للعملة الواحدة . وبدون أى من هذين القسمين تكون الجغرافية غير واقعية وغير متكاملة . وهل من المعقول أن يدرس الإجتهاد الجغرافى الأرض ، من غير أن يستشعر مكان الناس ومكانة الناس وحياة الناس فيها ؟ وهل من المعقول أن يدرس الإجتهاد الجغرافى الناس من غير أن يستشعر مدى إرتباطهم الحيوى بالأرض ، وهم فيها يعيشون ، وبمواردها ينتفعون ،وفى ثراها يقبرون ؟

ومن ثم لم ولا ولن يطلب الفكر الجغرافى فى القرن العشرين من الإجتهاد الجغرافى ، إجتهاداً متخصصاً ، ينغمس إنغماساً كلياً فى التخصص الدقيق الصارخ أو إجتهاداً منغلقاً يكرس كل إهتمامه بقسم معين من هذين القسمين ، إلى الحد الذى ينسيه أو يصرفه أو يغنيه عن الاحاطة وإستيعاب القسم الآخر . ولو فعل الإجتهاد الجغرافى ذلك لافتقد ذاته الجغرافية ، وهو ينزلق – على إرادة منه – إلى زمرة تخصص علمى آخر . والمطلوب من الجغرافى – عندئذ – من غير أى تفريط فى عمق وأصالة وموضوعية تخصصه الدقيق – أن يحيط بهذين القسمين معاً – من غير إفراط فى السطحية – إحاطة عامة كلية. ومطلوب منه أيضاً، أن يستشعر ويقدر مدى الترابط والتكامل الموضوعى والتداخل غير المحل فيما بينها .

وهكذا لا يحرر الفكر الجغرافى الحديث الإجتهاد الجعرافى فى أى دراسة جغرافية على مستوى المكان (إقليمية) ، أو أى دراسة جغرافية على مستوى المكان فى الزمان (تاريخية) ، من الترابط والتكامل الموضوعى ، بين الواقع الطبيعى والواقع البشرى . بل يتعين أن ينطلق الإجتهاد الجغرافى إنطلاقاً ملتزماً بالعلاقة التكاملية بين الأرض والناس. وهذا معناه أن التخصص العلمى الدقيق فى فروع الجغرافية الطبيعية ، أو فى فروع الجغرافية البشرية ، ينبغى أن لا يعفى إجتهاد الجغرافى المتخصص نفسه ، من الاحاطة الكلية بالقواعد والأسس التى تنظم هذه العلاقة التكاملية بين الأرض والناس . ولو فعل الجغرافى المتخصص ذلك ، وأعفى نفسه من الاحاطة الكلية ، يكون قد تنكر بالفعل للفكر الجغرافى ، أو قد أنكر على هذا الفكر موضوعيته الشاملة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى الرغم من الترابط والتكامل والتداخل الأصولى غير المخل ، بين الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، فإن ثمة فروقات أصولية وإختلافات جوهرية تميز بينهما تميزاً موضوعيًا . وقد نتبين هذا التمييز الموضوعى واضحاً عندما نستعرض ما يدخل من ظاهرات فى دائرة إهتمام كل منهما . ولكن الأهم من ذلك كله هو أن نتبين مدى التباين ، فى تركيب وصياغة الخلفية العريضة ، التى تخدم موضوعية وأهداف ورؤية كل منهما . بمعنى أنه تمييز موضوعى بالفعل ، لأنه يمس الجوهر فى صميم التخصص العلمى لكل منهما ، ويحدد طبيعة ونوعية الأهداف المطلوبة من كل منهما .

ومن المفيد – على كل حال – أن يفطن الإجتهاد الجغرافى إلى أبعاد وماهية هذا التمييز الموضوعى ، وأن يلتزم به إلتزاماً علميًا سوياً . ولكن لا ينبغى أن يتعارض هذا الإلتزام الموضوعى ، أو يخل بقواعد وأصول وأسس التكامل ، بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، أو أن يكون التكامل بينهما مخلاً ومتعارضًا مع حد الإلتزام الموضوعى بينهما . وقد حدد الفكر الجغرافى الحديث – بكل الموضوعية – الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، ووضع الحد الفاصل بين مجالات الإجتهاد الجغرافى فى كل منهما .

والجغرافية الطبيعية تخصص جغرافى علمى ، من شأنه أن يدرس كل الظاهرات التى تعتلى ظهر الأرض ، والتى لا يكون للانسان شأن فى تكوينها أو توزيعها . ومن وراء الإجتهاد الجغرافى الذى يعكف على البحث المتخصص فى الجغرافية الطبيعية ، ينبغى أن تكون خلفية عريضة ، ثرية ثراء يسعفه بنتائج ومفاهيم وحقائق من صنع وإنتاج العلوم الطبيعية المتخصصة . ومن شأن هذه الخلفية أن تظاهر الإجتهاد الجغرافى وتشد أزره ، وهو يدرس الظاهرة الجغرفية الطبيعية ، دراسة قوامها التركيب والتحليل فى وقت واحد ، وصولاً إلى النتائج .

ودراسة ظاهرة طبيعية معينة ، تدعو الإجتهاد الجغرافى إلى معالجة تخصصية موضوعية ، مبنية على ما يحسن استخدامه من نتائج بعض العلوم الطبيعية ، وصولاً إلى كنه أو ماهية أو جدوى مجموعة العوامل ، التى تشترك بشكل أو بآخر ، فى تكوين هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظاهرة المعنية وتوزيعها ، أو فى اكسابها كل الخصائص المميزة لها . كما ينبغى أن يتعقب الإجتهاد الجغرافى وضع هذه الظاهرة المعنية ، فى إطار الواقع الطبيعى ، وكيف تؤثر فيه أو تتأثر به . ومن قبيل الإستجابة العلمية لارادة الفكر الجغرافى الحديث فى القرن العشرين ، يكون المطلوب من هذا الإجتهاد الجغرافى ، أن يعمق ويؤصل دراسة هذه الظاهرة الطبيعية المعنية ، تأصيلاً علمياً ، لحساب البحث الكاشف عن رؤية الجغرافى للواقع الطبيعى فى نهاية الأمر .

ومن شأن هذا التعميق العلمى الدراسى الهادف ، أن يتأتى من خلال البحث الجغرافى المتخصص ، الذى يسلك السلوك المنهجى العلمى الكاشف ، للظاهرة الجغرافية المعنية ، على الأرض . ومن الطبيعى أن يسفر هذا الإجتهاد الجغرافى المنهجى عن ولادة وترسيخ فروع جغرافية طبيعية متعددة . ومن ثم أسفرت هذه الفروع الدراسية المتخصصة ، عن صياغة القواعد والأصول والأسس ، التى خدمت هذا التخصص الجغرافى الموضوعى ، وحددت مسار الإجتهاد الجغرافى المنهجى الصحيح فى كل تخصص ، وصولاً إلى العمق العلمى المستهدف .

ومن شأن كل فرع من فروع الجغرافية الطبيعية ، أن يتناول جانباً من الجوانب أو ظاهرة من مجموعة الظواهر ، التى تؤلف فى جملتها الصورة الجغرافية الطبيعية على سطح الأرض . وعندئذ يتقصى هذا الفرع – بكل العمق والموضوعية – الحقائق التى تكشف عنها الرؤية الجغرافية لهذه الظاهرة المعنية . مع ذلك ، يجب أن يقترن هذا الإجتهاد الجغرافى التخصصى بالمهارة والحنكة ، لدى تجميع أوصال وتنسيق قطاعات الرؤية الجغرافية لكل الظاهرات الطبيعية ، لكى يسفر عن البحث المتكامل تكاملاً أصولياً وموضوعياً عن رؤية جغرافية كلية للواقع الطبيعى ، فى أى مساحة من الأرض ، أو على أى مستوى من مستويات إتساع هذه الأرض .

وجغرافية التضاريس ، فرع من فروع الجغرافية الطبيعية . ويحمل الفكر الجغرافى الحديث هذا الفرع التخصصى ، مسئولية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث فى الرؤية التضاريسية فى المكان . وفى إطار هذه الرؤية ، يعالج الإجتهاد الجغرافى مسألة تكوين وتشكيل السطح ، وما يعتلى ظهر اليابس من درجات التضرس المتنوعة . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى على بعض النظريات التى ابتدعها بعض الباحثين ، وهو يفسر النشأة والتكوين التضاريسى . كما يصور أو يتصور العوامل التى كانت من وراء صياغة الشكل التضاريسى ، الذى تفصح أو تعبر عنه الصور التضاريسية المتنوعة على أى المستويات . ويتمادى الإجتهاد الجغرافى فى متابعة مدى التغير فى هذا التضرس على المدى الجيولوجى . وقد يضيف إلى ذلك كله صياغة السياق الرتيب ، الذى يحكى ويصور التغيير فى الصور التضاريسية ، من عصر جيولوجى إلى عصر جيولوجى آخر .

والجيمورفولوجيا ، فرع آخر من فروع الجغرافية الطبيعية . ويحمل الفكر الجغرافى الحديث هذا الفرع التخصصى ، مسئولية البحث فى التشكيل التضاريسى . وفى إطار هذا البحث ، يعالج الإجتهاد الجغرافى الأشكال التضاريسية ، ويصور التفاصيل الدقيقة التى تشكل تضاريس السطح . ومن الطبيعى أن يعتمد الإجتهاد الجغرافى على نتائج العلوم الطبيعية ، التى تحدد قدرات العوامل المتنوعة ، وكيف تشكل التضاريس ، من خلال النحت والنقل والارساب . ويتمادى هذا الاجتهاد الجغرافى فى متابعة مدى التغير فى التشكيل التضاريسى ، من وقت إلى وقت آخر . وقد يتابع هذا التغير أيضًا على المدى الجيولوجى . ثم يضيف إلى ذلك كله صياغة السياق الرتيب ، الذى يحكى ويصور مراحل هذا التغير ، فى التشكيل التضاريسى المتغير ، من عصر جيولوجى إلى عصر جيولوجى آخر .

وجغرافية البحار فرع ثالث من فروع الجغرافية الطبيعية . ويحمل الفكر الجغرافى فى الحديث التخصصى ، مسئولية البحث فى تكوين البحار ، وما يخفى من درجات وأنواع التضرس السالب تحت سطح البحر . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى على بعض النظريات والافتراضات ، التى ابتدعها بعض الباحثين ، وهو ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يفسر نشأة وتكوين الأحواض ، التى تحتوى البحار والمحيطات . كما يصور هذا الإجتهاد أو يتصور فاعلية العوامل التى كانت من وراء صياغة التنوع فى الأعماق ، الذى يسفر عن التضرس فى قاع البحر . وقد يتمادى الإجتهاد الجغرافى فى متابعة مدى التغير فى توزيع اليابس والماء على المدى الچيولوچى . وقد يضيف إلى ذلك كله البحث عن الماء، الذى يزخر به البحر ، ويصور خصائصه وتحركاته ونبض الحياة فى أحشائه .

وجغرافية المناخ فرع رابع من فروع الجغرافية الطبيعية . ويحمل الفكر الجغرافى الحديث هذا الفرع التخصصى ، مسئولية البحث فى عناصر المناخ فى المكان . وفى إطار هذا البحث ، يعالج الإجتهاد الجغرافى ما ينبئ به الرصيد المستمر أو الرتيب للحرارة والضغط الجوى وحركة الهواء والرطوبة والتكاثف والتساقط . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد على رصيد الباحثين فى علم المترولوچى ، فى تقصى أحوال المناخ ، ولكن المؤكد أنه يحصل على المتوسطات ، ويبنى عليها إستطلاع خصائص المناخ ، وأنه يستطلع مدى التنوع فى خصائص المناخ من إقليم إلى إقليم آخر . وقد يتمادى هذا الإجتهاد الجغرافى ، فى صياغة تقسيم إقليمى ، يعبر عن هذا التنوع فى المناخ على أى مستوى من المستويات . كما يتمادى أيضاً فى متابعة مدى التغير فى حالة المناخ على المدى الچيولوچى . وقد يضيف إلى ذلك كله صياغة السياق الرتيب الذى يحكى أو يصور هذا التغيير المناخى، وفاعليته فى الأقاليم ، من عصرچيولوچى إلى عصر چيولوچى آخر .

وجغرافية الحياة ، فرع خامس من فروع الجغرافية الطبيعية . ويحمل الفكر الجغرافى الحديث هذا الفرع التخصصى ، مسئولية البحث فى الرؤية الحيوية فى أنحاء الأرض . وفى إطار هذه الرؤية ، يعالج الإجتهاد الجغرافى نبض الحياة المتنوع ، سواء تمثل فى النمو النباتى ، أو فى الوجود الحيوى الحيوانى بكل مراتبه . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى على بعض النظريات والأفكار ، التى ابتدعها بعض الباحثين ، وهو يصور النشأة وتطور هذه الحياة . كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصور هذا الإجتهاد أو يتصور العوامل ، التى كانت من وراء إنتشار وتنوع الحياة فى أنحاء الأرض . وقد يتمادى هذا الإجتهاد الجغرافى فى متابعة الوجود الحيوى ، وما يطرأ عليه من تغيير وتطور على المدى الچيولوچى . ويضيف إلى ذلك كله صياغة السياق الرتيب ، الذى يحكى أو يصور مراحل تغيير وتطور الوجود الحيوى ، من عصر چيولوچى ، إلى عصر چيولوچى آخر .

هذا ، ويكون هذا التخصص العلمى الدقيق ، فى إطار كل فرع من هذه الفروع ، التى تندرج تحت مظلة الجغرافية الطبيعية ، موضوعيًا وهادفاً . ومن شأنه أن يصور مدى الحرص الذى يبديه الفكر الجغرافى الحديث ، وصولاً إلى أكبر قدر من التعميق . كما يكون أيضاً من قبيل التطلع الذى يرنو إليه الفكر الجغرافى الحديث ، وصولاً إلى الاحاطة الموضوعية بكل ما من شأنه أن يشترك ، أو يسهم فى صياغة وتجسيد رؤية الواقع الطبيعى وإدراك خصائصه ومميزاته . ومن ثم أصبحت الجغرافية الطبيعية من خلال هذه الفروع هادفة ، وهى تعمق المعرفة بالأرض كوطن للانسان ، أو كمسرح يحتوى الحياة ، ويشهد التفاعل الحياتى بين الإنسان والأرض .

ولئن دعا هذا التخصص العلمى الموضوعى الإجتهاد الجغرافى إلى قدر من الإفراط فى التأصيل والعمق الهادف ، فلا ينبغى أن يفرط هذا الإجتهاد- فى نهاية الأمر – فى صدق إلتزامه ووفائه ، الذى يدعوه إلى وضع كل النتائج التى يتوصل إليها فى خدمة الإنسان . بمعنى أن الجغرافية الطبيعية عندما تتصدى من خلال كل فروعها المتعددة ، لدراسة وتجسيد الرؤية الجغرافية الواضحة للواقع الطبيعى للأرض ، على أى من المستويات ، لا يجب أن تكون هذه الدارسة دراسة مجردة لذاتها . بل يتعين أن تكون – بكل الموضوعية – لحساب مصلحة الحياة فى الأرض. ولكى تكون هذه الدراسة لحساب مصلحة الحياة بالفعل ، يضع الإجتهاد الجغرافى العرض الموضوعى الكاشف للمسرح ، الذى يحتوى الحياة فى الشكل ، الذى يبصر ويرشد حركة ووجود وتفاعل الحياة مع الأرض ، فى أى مكان أو زمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والجغرافية البشرية تخصص علمى جغرافى ، من شأنه أن يتجه – بكل الإهتمام – إلى دراسة الظاهرات البشرية العامة ، فى أحضان الأرض ، وأن يعالج الرؤية الجغرافية التى تجسد نشاط وفاعلية الانسان، وهو يؤكد وينتزع حق وجوده وسيادته على الأرض . ومن وراء الإجتهاد الجغرافى الذى يتفرغ للبحث العلمى المتخصص فى الجغرافية البشرية ، ينبغى أن تكون خليفة عريضة وثرية ، قوامها ، معرفة بالواقع الطبيعى الذى يجسد المسرح ، ويشهد نشاط الإنسان ويحتوى وجوده ويجاوب إرادة حياته من ناحية ، ومعرفة بنتائج بعض العلوم الإنسانية الكاشفة عن حقيقة قدرات الانسان وإمكانياته من ناحية أخرى . ومن شأن هذه الخلفية الثرية أن تمثل المعين الذى يسعف الإجتهاد الجغرافى ويرشده ويبصر خبراته ، وهو يعالج الظاهرة البشرية المعنية ، دراسة تركيبية تحليلية فى وقت واحد . وهذه هى الدراسة التى تجمع وتؤلف أوصال الرؤية الجغرافية البشرية الكلية ، ثم تحلل هذا التجميع أو التركيب تحليلاً علمياً .

ومن شأن الرؤية الجغرافية للظاهرة البشرية ، أن تدعو الإجتهاد الجغرافى دعوة صريحة ، إلى معالجة موضوعية كاشفة تستوعب ما تنبىء به هذه الرؤية . وهذا معناه أن تبنى هذه المعالجة الموضوعية ، على حسن إستخدام النتائج ، فى تحديد أبعاد هذه الظاهرة البشرية المعنية . ومعناه أيضًا أن تتوصل هذه المعالجة الموضوعية ، إلى كنه وماهية العوامل التى تشترك بشكل أو بآخر ، فى بلورة هذا النشاط البشرى ومدى تأثيرها السلبى والإيجابى عليه .

هذا وينبغى أن يتعقب الإجتهاد الجغرافى من خلال الرؤية الجغرافية للظاهرة البشرية المعنية مسألتين هامتين هما ، مدى تأثر الإنسان وإستجابة نشاطه الحيوى بالعوامل الطبيعية من ناحية ، ومدى تأثير الإنسان وفاعلية نشاطه الحيوى على الواقع الطبيعى من حوله من ناحية أخرى . وقد يتعمد الإجتهاد الجغرافى أكبر قدر من المهارة فى بيان التصور الذى يكشف عن كيف يصارع الإنسان الأرض ، وعن كيف ينبرى لفرض إرادته عليها ، وعن كيف يصمد ويكبح أو يطوع الضوابط الطبيعية الحاكمة لإرادة الحياة على الأرض فى المكان والزمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن قبيل الإستجابة لارادة الفكر الجغرافى الحديث ، يكون المطلوب من الإجتهاد الجغرافى ، تأصيل البحث والمعالجة الموضوعية للظاهرة البشرية المعنية . وربما كان للهدف فى بعض الأحيان ، نتائجاً تبصر الحياة ، وترشد انتصار الفكر الجغرافى لارادة الحياة فى المكان . ولكن المؤكد أن هناك هدف نهائى هام ، وهو تأكيد قدرة الإجتهاد الجغرافى على تحويل الرؤية الجغرافية لمجموعة الظاهرات البشرية ، إلى بيان أو بحث كاشف – بكل الوضوح – عن الواقع البشرى كله فى لحضان المكان والزمان .

وقد ترتب على الإطار الذى احتوى مسار التخصص الجغرافى فى الجغرافية البشرية وأهدافه ، ولادة أو نشأة فروع جغرافية متخصصة تخصصًا دقيقاً تحت مظلة الجغرافية البشرية . ثم أسفرت الدراسة الجغرافية المتخصصة فى كل فرع من هذه الفروع البشرية ، عن صياغة القراعد والأصول والأسس ، التى تخدم موضوعية البحث فى هذا التخصص الدقيق ، كما أسفرت أيضًا عن تحديد ووضوح رؤية الإجتهاد الجغرافى لأهداف هذا التخصص الدقيق ، وصولاً إلى النتائج العلمية المستهدفة لحساب حركة الحياة ووجودها فى المكان والزمان ..

ومن شأن كل فرع متخصص من فروع الجغرافية البشرية ، أن ينكب الإجتهاد الجغرافى فيه ، على جانب من الجوانب أو على قطاع من القطاعات ، التى تؤلف فى مجموعها الصور الحياتية على الأرض فى أى مكان . ومن شأنه أيضًا أن يتفرغ الإجتهاد الجغرافى فيه ، لتقصى الحقائق والعوامل التى تضع التفاصيل الحيوية فى هذه الصور . ومع ذلك ، فيجب أن يقترن هذا التخصص الدقيق ، فى كل فرع بالمهارة والحنكة ، لدى جمع وربط الأوصال التى تجسد الرؤية البشرية ، لكى يسفر الاجتهاد الجغرافى عن البحث المتكامل تكاملاً أصولياً وموضوعياً عن الواقع البشرى للناس فى أحضان الأرض ، فى أى مساحة من المساحات ، وعلى أى مستوى من المستويات .

وجغرافية السلالات ، فرع متخصص من فروع الجغرافية البشرية . ويحمل الفكر الجغرافى الحديث الاجتهاد الجغرافى مسئولية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث فى قضية الإنسان الأول وموطنه وإنتشاره فى أنحاء الأرض . عندئذ يكون استشعار مفهوم وحدة الأصل فى الزمان وفى المكان ، هدفاً مرحلياً تبنى عليه مسألة التمعن فى التنوع فى السمات والصفات فى مواقع الإنتشار . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى إعتماداً موضوعيًا على بعض النظريات والأفكار ، التى ابتدعها بعض الصفوة من الباحثين : لكى يعطى التصور عن النشأة ، وعن الوطن الأول فى المكان الأنسب لبداية قصة حياة الإنسان على الأرض . كما يناقش الإجتهاد الجغرافى العوامل البيئية التى كانت من وراء اكتساب الصفات ، التى ميزت بين السلالات الرئيسية . ويتمادى الإجتهاد الجغرافى فى متابعة التوزيع العام للسلالات وطرق الهجرات والضوابط الحاكمة لهذا الإنتشار على الصعيد العالمى . كما يتطلع هذا الإجتهاد الجغرافى إلى إستشعار مدى الإختلاط بين السلالات ، وكيف أسقط عنها مفهوم النقاوة السلالية . وقد يتخذ من هذا كله سبيلاً لمواجهة بعض أنماط التعصب ، الذى يستعلى بالجنس ويحبط دعوته .

وجغرافية السكان ، فرع متخصص أيضًا من فروع الجغرافية البشرية . ويجعل الفكر الجغرافى الحديث الإجتهاد الجغرافى ، مطية للبحث فى قضية انتشار الناس ، وتوزيعهم فى أنحاء الأرض ، ومدى تنوع الكثافات السكانية فى المكان إلى المكان الأخر . وعندئذ يكون الإجتهاد الجغرافى حريصاً على دراسة الضوابط الحاكمة لهذا التوزيع ، والتنوع فى الكثافات ، قدر حرصه على دراسة الضوابط الحاكمة ، لمعدلات النمو والزيادة الطبيعية فى السكان . ومن الطبيعى أن تهمس الإحصاءات والتسجيلات الدورية فى أذن الإجتهاد الجغرافى همسًا يجسد رؤيته للتنوع فى الكثافات ، ومعدلات النمو والهجرة والتحركات السكانية . ولكن المؤكد أن نتائج بعض العلوم الإنسانية تسعف الإجتهاد الجغرافى ، وهو يصور العوامل التى تكمن من وراء هذا كله ، وتتسبب فيه. ويتمادى الإجتهاد الجغرافى فى متابعة التوزيع الجغرافى للكثافات السكانية وتقصى حقيقة الضوابط الحاكمة لهذا النوع . كما يضيف هذا الإجتهاد الجغرافى فى الإقليم ، وهو يميز بين معدلات النمو فى أنحائها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويجسد رؤيته لمدى التوازن ، بين ضغط السكان على الموارد ، وإستجابة الموارد لهذا الضغط . وقد يتسلل الإجتهاد الجغرافى إلى استشعار العلاقة بين حجم الكثافة ، وحجم قوة العمل ، وحجم الإستخدام للموارد المتاحة، وصولاً إلى هدف يقوم على الربط ، وهو يبصر الحياة بالوضع السكانى فى المكان والزمان .

وجغرافية السكن ، فرع متخصص آخر من فروع الجغرافية البشرية . ويوكل الفكر الجغرافى الحديث إلى الاجتهاد الجغرافى أمانة البحث فى قضية السكن ، الذى يأوى إليه الناس فى أنحاء الأرض . وعندئذ يتولى الإجتهاد الجغرافى التمييز بين السكن فى أحضان البداوة، والسكن فى أحضان الإستقرار . كما يتدارس مدى التباين والتنوع بين السكن ، فى المدينة فى أحضان الحضر ، وفى القرية فى أحضان الريف . ومن الطبيعى أن يعتمد الإجتهاد الجغرافى إعتماداً ذكياً على بعض النظريات والأفكار ، التى ابتدعها لفيف الباحثين ، لكى يعطى التصور الكاشف للرؤية الجغرافية لنوع السكن وأنماط المساكن . والمؤكد أن يلتمس هذا الإجتهاد الجغرافى العوامل الطبيعية والبشرية التى تسبب هذا النوع . وقد يتمادى الإجتهاد الجغرافى فى متابعة الضوابط الحاكمة ، لإنتشار المدن والقرن فى أنحاء الإقليم ، وتصوير العلاقة الحتمية بين المدن والقرى فى أنحاء الإقليم ، وتصوير العلاقة الحتمية بين المدن والقرى فى الحياة فى الظهير المباشر من حولها. وقد يتسلل الإجتهاد الجغرافى إلى نمو المدن والقرى ، وإستشعار العلاقة بين النمو من ناحية ، ومعدلات الزيادة الطبيعية من ناحية ثانية ، والتحرك ت السكانية بين الريف والحضر من ناحية ثالثة ، وصولاً إلى هدف يقوم على الربط ، وهو يبصر الحياة بمأواها فى المكان والزمان .

والجغرافية الإقتصادية فرع ضخم وعريق من فروع الجغرافية البشرية ، ويعتمد الفكر الجغرافى الحديث على الإجتهاد الجغرافى ، فى معالجة أنماط التفاعل بين الناس والأرض وأساليبه ومستوياته المتفاوتة والمتنوعة ، طلبًا لإستخدام موارد الأرض . كما يعالج هذا الإجتهاد عمليات الإنتاج بدرجاته الأولية والثنائية ، وعلاقتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوازنية بعمليات الإستهلاك ومعدلاته للتفاوتة . ومن الطبيعى أن يأخذ هذا الإجتهاد الجغرافى ببعض النظريات والأفكار التى ابتدعها بعض الباحثين ، لكى يعطى التصور الذى يعبر عن الرؤية الجغرافية للعوامل ، التى تكمن من وراء أنماط التفاعل الحياتى بين الناس والأرض . وقد يعتمد أيضاً على بعض نتائج العلوم الطبيعية والإنسانية ، لكى يصور دور التجارة الدولية فى الربط للتوازن ، بين الإنتاج والإستهلاك . ويتمادى هذا الإجتهاد الجغرافى فى متابعة النشاط الإقتصادى على أى مستوى من مستويات بقصد إستشعار مدى التنوع فى محصلة التفاعل بين الناس والأرض . وقد يتسلل هذا الإجتهاد الجغرافى إلى حصر وتقصى حقيقة الضوابط الحاكمة ، للانتاج الإقتصادى وللاستهلاك البشرى ، ومدى التنوع فى معدلاته من حيث الكم والكيف على حد سواء .

وجغرافية النقل فرع حيوى من فروع الجغرافية البشرية . ويعهد الفكر الجغرافى الحديث للاجتهاد الجغرافى مهمة هامة ، تعالج تطور الجهد البشرى ، وهو يبدع الأساليب والوسائل لاسقاط أو لاختراق حاجز المسافة بين المكان والمكان الآخر . كما يعالج هذا الإجتهاد الجغرافى الرؤية الجغرافية الكاشفة عن كنه أو جوهر العلاقة الموضوعية ، بين عمليات النقل وتشغيل وسائله وحركة التجارة الدولية من ناحية ، وتهيئة أكبر قدر من التوازن بين العرض والطلب لحساب الانسان من ناحية أخرى . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى على بعض النظريات والأفكار ، التى ابتدعها البحث العلمى المتخصص ، وهو يصور دور العوامل أو الضوابط الحاكمة لعملية تشغيل وسائل النقل وإستخداماتها الإقتصادية ، لحساب الحركة والنقل التجارى ، لحساب مجتمع الدول . وقد يتمادى هذا الإجتهاد الجغرافى فى متابعة مدى التطور فى وسائل النقل وحسن إستخدامها ، وإستشعار المدى الذى تحقق عمليات النقل من خلاله أكبر قدر من التوازن ، بين الإنتاج والإستهلاك فى إطار شكل من أشكال التكامل الإقتصادى ، بين الأقاليم على مستوى الدولة ، أو مجموعة دول ، أو على مستوى العالم كله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والجغرافية السياسية ، فرع بناء من فروع الجغرافية البشرية، ويتطلع الفكر الجغرافى الحديث إلى الإجتهاد الجغرافى ، لكى يخدم اللقاء الموضوعى بين الجغرافية والسياسية على طريق كاشف لأبعاد المشكلات السياسية . ومن شأن الإجتهاد الجغرافى أن يعالج بناء وتكوين الدولة وإستشعار مقومات وجودها المؤلف ، من أرض وناس ونظام ، يفرض سيادة الناس على الأرض فى الدولة ، وأن يصور كيف تلعب هذه المقومات دورها الحيوى فى تحديد مكانة الدول فى مجتمع الدول من ناحية ، وفى خلق أو تعقيد أو تفجير المشكلات من ناحية أخرى . ومن الطبيعى أن يعتمد هذا الإجتهاد الجغرافى على بعض النظريات التى يتوصل إليها البحث العلمى المتخصص ، وعلى بعض نتائج بعض العلوم الإنسانية ، لكى تتأتى الرؤية الجغرافية الكاشفة عن العوامل التى تكمن من وراء علاقة ووضع الدولة مع جيرانها ، ومكانتها الحقيقية فى المجتمع الدولى . ويتمادى هذا الإجتهاد فى متابعة تطور الدولة الحيوى ومدى تأثير المشكلات التى تعيشها الدولة على هذا التطور ، طلبًا وتطلعًا إلى مجالها الحيوى . وقد يتسلل هذا الإجتهاد الجغرافى إلى دراسة عوامل تفجير المشكلات من الداخل ، أو من الخارج، أو إلى متابعة مدى التأثر أو التأثير الذى يفرضه منطق التوازن بين القوى فى العالم على وضع وسياسة ومكانة الدولة .

هذا ويكون هذا التخصيص الدقيق ، فى إطار كل فرع من فروع كثيرة تندرج تحت مظلة الجغرافية البشرية ، علامة من أهم علامات حرص الفكر الجغرافى الحديث ، على دراسة وتقصى الظاهرات البشرية، وصولاً إلى أكبر قدر من العمق الموضوعى على كل المستويات . ومن الجائز أن يستهدف الفكر الجغرافى الحديث ، الاحاطة الموضوعية بما تعنيه الظاهرة البشرية ، وتعبر عنه وصولاً إلى استشعار مسيرة الحياة ووقع خطواتها فى المكان . ولكن المؤكد أن الفكر الجغرافى الحديث قد تطلع دائماً إلى إتخاذ الجغرافية البشرية مطية لتجسيد الرؤية الجغرافية للواقع البشرى وخصائصه فى أحضان المكان والزمان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن ثم تكون الجغرافية البشرية ، من خلال فروعها المتخصصة الكثيرة هادفة بالفعل ، عندما تتولى هذه الفروع تعميق المعرفة بالناس والوجود البشرى السيد على الأرض ، وعندما تتولى من خلال البحث التركيبى والتحليلى فى وقت واحد ، تصوير أبعاد ونتائج التفاعل الحياتى بين الناس والأرض تفاعلاً مثمراً . ولئن دعا هذا التخصص العلمى الدقيق الإجتهاد الجغرافى إلى الإفراط فى التأصيل والتحليل والتعميق ، وصولاً إلى البحث الجغرافى البشرى الموضوعى الجيد ، فلا ينبغى أن يفرط الجغرافى أبداً فى صدق إلتزامه ووفائه الفعلى ، بوضع كل النتائج التى يتوصل إليها هذا البحث ، فى خدمة الإنسان ، الفرد والمجتمع على حد سواء .

وهذا معناه أن الجغرافية البشرية ، عندما تتفرع من خلال فروعها لدراسة الظاهرة البشرية المعنية ، أو عندما تنكب على جمع أوصال الرؤية الجغرافية للواقع البشرى ، على أى مستوى من مستويات الأرض، لا يجب أن تكون أهدافها مجردة لذاتها . بل يتعين أن تكون الدراسة الجغرافية البشرية هادفة – بكل الموضوعية – لحساب الإنسان وحياته فى الأرض . ولكى تكون هذه الدراسة الجغرافية البشرية لحساب الإنسان بالفعل ، يجب أن ينجح الإجتهاد الجغرافى فى تطويع نتائج البحث الجغرافى البشرى ، تطويعاً مفيداً لنشاط الإنسان ، ولنبض حياته على الأرض . ولا تكون هذه الفائدة حقيقية إلا إذا أفلحت هذه النتائج فى ترشيد تفاعل الإنسان الحياتى مع الأرض ، وانتصرت لارادة وجوده على أن مستوى من مستويات الأرض فى المكان والزمان .

وهكذا ، يلزم الفكر الجغرافى الحديث ، الإجتهاد الجغرافى ، فى مجال الدراسة الجغرافية الموضوعية لظاهرة من الظاهرات ، بضرورة استشعار الحد الفاصل – بكل الموضوعية – ، بين مفهوم الجغرافية الطبيعية وإهتمامات فروعها المتخصصة ، ومفهوم الجغرافية البشرية وإهتمامات فروعها المتخصصة ، لكى يتجنب الخلط أو التردى فى الخطأ الموضوعى ، ومن قبل أن يضع الإجتهاد الجغرافى الظاهرة المعنية فى إطار البحث المتخصص ، ينبغى أن يتحسس وضع أو مكان الإنسان فيها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصولاً إلى حكم سوى ، عن جوهر التخصص فيها . وإذا تكشفت له أن للانسان فيها مكانًا ، كانت الظاهرة المعنية بشرية، ومن النمط الذى يدخل فى صميم إهتمام الجغرافية البشرية أو فرع من فروعها المتخصصة . أما إذا افتقد الإجتهاد الجغرافى مكان الانسان فيها ، كانت الظاهرة المعنية طبيعية ، ومن النمط الذى يدخل فى صميم إهتمام الجغرافية الطبيعية أو فرع من فروعها المتخصصة .

ومن خلال الحرص على الحد الفاصل ، بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية والإلتزام به ، يؤكد الفكر الجغرافى الحديث على موضوعية علم الجغرافية بالفعل . وهذا دليل صادق لا يضل ولا يضلل، عندما نصور الجغرافية على أن شأنها شأن العملة لها وجهين متكاملين . الأول طبيعى مجاله الأرض مسرح الحياة ، والثانى بشرى مجاله الإنسان صاحب الحق فى الوجود على هذا المسرح . وبهذين الوجهين المتكاملين – معًا – تكون الجغرافية كما أراد الفكر الجغرافى الحديث لها أن تكون . وما من شك فى أن إفتقاد وجه من هذين الوجهين ، يبطل مفعولها ويخل بواقعيتها ، ويفسد موضوعيتها ويضيع أهدافها . وإلا فما هى القيمة الفعلية لدراسة الأرض وخصائصها ، من غير أن تكون وطناً للانسان ومرتعًا لنشاطه ومسرحاً لحياته ومورداً لعطائه ؟ وما هى القيمة الفعلية لدراسة الانسان ومتابعة قصة حياته وتفاعله ، من غير أن يكون ملتصقًا بوطنه ومتفاعلاً مع الأرض وطالباً لعطائها فى المكان والزمان ؟

وموضوعية الدراسة أو البحث الجغرافى المتخصص – كما يريدها الفكر الجغرافى الحديث – ، فى كل فرع من الفروع التخصصية فى الجغرافية الطبيعية ، أو فى الجغرافية البشرية على السواء ، تكون – من خلال أى منهج من مناهج البحث – مبنية بالضرورة على التأصيل والواقعية ، لدى معالجة رؤية الواقع الجغرافى الطبيعى ، أو رؤية الواقع الجغرافى البشرى ، ولدى صياغة وتجسيد أى منهما ، ومن ثم يملى الفكر الجغرافى الحديث إرادة الإلتزام ، بمفهوم التخصص الجغرافى الدقيق ، فى إطار التخصص العام ، لدى صياغة وتأصيل القواعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأسس ، كنتائج إيجابية يتوصل إليها البحث الجغرافى الموضوعى .

ومن شأن إرادة الإلتزام ، أن تصغى جيداً ، وأن تطاوع وتستجيب ، إلى حاجة البحث الجغرافى المتخصص ، لكيلا يضل فلا يحقق الهدف الموضوعى . وإلا فكيف يمكن التمييز بين القواعد والأسس التى يبنى الإجتهاد الجغرافى ، والنتائج التى يسفر عنها البحث الجغرافى لحساب رؤية الواقع الجغرافى البشرى ؟ ومن غير هذا التمييز لا يحقق البحث الجغرافى الموضوعية الحقيقية ، ولا ما يبتغيه التخصص الجغرافى الدقيق .

وتأسيساً على ذلك التقسيم الذى ارتضاه الجغرافيون ، وتأسيساً على ذلك التمييز ، بين القسمين اللذين حققا هدف الفكر الجغرافى الحديث ، لا ينبغى أن تمثل الدراسة الجغرافية الإقليمية ، ولا الدراسة الجغرافية التاريخية فرعاً من خلال هذا التقسيم الموضوعى للجغرافية . وليس من الصدق فى شىء ، أن يزج الإجتهاد الجغرافى بالبحث الهادف فى أى منهما ، فى إطار الجغرافية الطبيعية ، أو فى إطار الجغرافية البشرية . وفى تصورى أن الدراسة الجغرافية الإقليمية ، والدراسة الجغرافية منهجين ، أو أسلوبين من أساليب البحث الموضوعى الجغرافى أكثر من أى شىء آخر . بمعنى أن يصب الإجتهاد رؤيته الجغرافية فى قالب إقليمى ، أو أن يصب هذه الرؤية فى قالب زمنى تاريخى يتابع الأمر من جغرافية الماضى الى جغرافية الحاضر .

والجغرافية الإقليمية التى اختلف بشأنها الإجتهاد الجغرافى فى القرن التاسع عشر ، سبيل من سبل الدراسة الجغرافية الموضوعية . وفى إعتقادى أنها تمثل أسلوب عمل ، يعتمد عليه الإجتهاد الجغرافى بذكاء ومهارة وخبرة ممتازة ، لتغطية البحث الجغرافى المتكامل الهادف طبيعياً وبشرياً على مستوى المكان فى اقليم . ومن الطبيعى أن يعتمد الإجتهاد الجغرافى على خلفية ثرية وعامرة بحصاد التخصص الجغرافى الطبيعى والبشرى على حد سواء ، لإنجاز مهمته وأداء دوره الوظيفى فى البحث الجغرافى الإقليمى .

وإنطلاقاً من قواعد الجغرافية ، يهتم الإجتهاد الجغرافى بالأرض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى المكان ، أو الإقليم إهتماماً مزدوجاً أو ثنائياً بأكبر قدر من التوازى والتوازن على محورين . ويستهدف الإجتهاد الجغرافى على المحور الأول تغطية الدراسة أو البحث الموضوعى ، الكاشف عن رؤية الواقع الجغرافى الطبيعى . ويستهدف على المحور الثانى تغطية الدراسة أو البحث الموضوعى الكاشف عن رؤية الواقع الجغرافى البشرى . وعندئذ تتكامل الرؤية الجغرافية فى إطار الإقليم تكاملاً موضوعياً ، من حيث الشكل ومن حيث الجوهر . وقد يحمل الفكر الجغرافى الحديث هذا الإجتهاد الجغرافى من بعد ذلك كله ، مسئولية حسن إستخدام هذه الرؤية الجغرافية المتكاملة فى الإقليم ، لابداع الأسلوب العلمى ، الذى يمكن أن تتخذه الجغرافية سبيلاً من أفضل سبل تقسيم العالم إلى أقاليم ، أو وحدات جغرافية متميزة (١).

وهذا معناه أن الفكر الجغرافى الحديث قد أنجز من خلال المنهج الجغرافى الإقليمى أكثر من هدف . ومن الجائز أن نتبين الهدف الأول، وكيف يتحقق من خلال دراسة جغرافية مكثفة ، تصور الرؤية الجغرافية المتكاملة بشقيها الطبيعى والبشرى فى إطار الإقليم . ولكن المؤكد أن هذا الإنجاز يفتح الباب لكى ينجز الإجتهاد الجغرافى الهدف الذى يحقق التقسيم الإقليمى الأفضل على صعيد الأرض .

والجغرافية التاريخية ، تمثل بدورها أسلوباً آخر من أساليب

---

(١) قد يركز الإجتهاد الجغرافى على ظاهرة بشرية معينة ، من أجل تصنيف أقاليم إقتصادية أو أقاليم سكانية أو أقاليم سلالية أو أقاليم سياسية أو أقاليم لغوية أو أقاليم إنتاجية . وقد يجمع بين عدد من الظاهرات البشرية من أجل تصنيف أقاليم بشرية . وهذا من غير شك إنجاز طيب ومشكور . وقد يركز الإجتهاد الجغرافى على ظاهرة طبيعية معينة ، من أجل تصنيف ، أقاليم تضاريسية أو أقاليم مناخية ، أو أقاليم نباتية أو أقاليم حيوانية ، أو أقاليم قارية أو أقاليم بحرية . وقد يجمع بين عدد من الظاهرات البشرية من أجل تصنيف أقاليم طبيعية . وهذا غير شك إنجاز طيب ومشكور أيضاً . ومن الجائز أن ينتفع البحث الجغرافى بالأقاليم البشرية والأقاليم الطبيعية . ولكن أن يجمع الإجتهاد الجغرافى بين الظاهرات البشرية والظاهرات الطبيعية معاً وأن يحسن إستخدام دلالتها ، من أجل تصنيف أقاليم جغرافية فهذا هو الإبداع بالفعل . وكيف لا يكون ذلك إبداعاً ، والاقليم الجغرافى وليد البحث المتكامل بشقيه الطبيعى والبشرى والمتميز طبيعياً وبشرياً عن الأقاليم الأخرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العمل الجغرافى الموضوعى ، ومن شأن الإجتهاد الجغرافى أن يعتمد على هذا الأسلوب بذكاء وخبرة ممتازة ، لتغطية البحث الجغرافى المتطور على المدى الزمانى . وقد يكون هذا المدى الزمانى قصيراً لا يتجاوز بضع سنوات معدودات أو طويلاً على إمتداد القرون الطويلة ، أو بلا حدود على المدى الجيولوجى . ولكن المؤكد أن التطور الذى يبتغيه البحث الجغرافى ، يعالج الظاهرة الجغرافية فى المكان وفى الزمان فى وقت واحد . وقد يحتاج الاجتهاد الجغرافى إلى حسن استثمار خلفية ثرية بحصاد التخصص الجغرافى ، لكى يتابع التطور وما ينشأ عنه من تغيير فى الرؤية الجغرافية للظاهرة المعنية بداية من المنظور الجغرافى فى الماضى ، الى المنظور الجغرافى فى الحاضر .

هذا وعندما يهتم الإجتهاد الجغرافى بظاهرة طبيعية فى المكان(١) ، إنطلاقاً من قواعد الجغرافية الطبيعية ، يغطيها البحث تغطية تطورية على المدى الزمنى المعلوم . وتعبر هذه التغطية التطورية ، عن معنى ومدى وماهية التغيير الذى يلحق بهذه الظاهرة المعنية ، من عصر إلى عصر آخر ، أو من وقت إلى وقت آخر ، ويكون البحث الموضوعى بحثاً فى الجغرافية الطبيعية التاريخية ، لأنه يدرس الظاهرة فى المكان ، وفى الزمان وفى وقت واحد .

ومن شأن الإلتزام بالتطور على المدى الزمنى المعلوم، الذى يسفر عن شكل من أشكال الجغرافية التاريخية ، سواء كنت طبيعية أو بشرية ، الا يفرط الجغرافى ولا يسقط عنه الإلتزام الكامل بقواعد الجغرافية الطبيعية ، أو بقواعد الجغرافية البشرية . وهذا معناه إلتزام بمنهج وإلتزام بقواعد فى وقت واحد ، من غير تعارض بين هذين الإلتزامين . وقد يفلح الإجتهاد الجغرافى الملتزم ، فى معظم الأحوال ، فى تسجيل إضافة مفيدة ، من خلال رصد ومتابعة الرؤية الجغرافية المتغيرة طبيعياً أو بشرياً ، وتقصى العوامل التى أدت إلى هذا التغيير .

---

(١) من شأن الظاهرة البشرية أن تكون اقتصادية أو سكانية أو سكنية أو سلالية أو سياسية بمعنى أن تكون ظاهرة من مجموعة الظاهرت التى تجمع أوصالها، الرؤية الجغرافية فى المكان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى بعض الأحيان ، يخلط الإجتهاد الجغرافى بذكاء وخبرة بين هذين المنهجين الاقليمى والتاريخى خلطاً جيداً ، لتغطية البحث الجغرافى الإقليمى التاريخى(١) . ويعتمد الإجتهاد الجغرافى على خلفية ثرية بقواعد الجغرافية الطبيعية والبشرية ، وهو يدرس جغرافية الاقليم دراسة تطورية على مدى زمنى معلوم ، ومن شأن الإجتهاد الجغرافى أن يلتزم بمنهج الدراسة التاريخية على مستوى الزمان وصولاً إلى الهدف . وهذا الإلتزام المزدوج هو السبيل الأمثل للخلط المتوازن ، بين المنهجين الاقليمى والتاريخى ، ومن غير أن يتحرر من قواعد الجغرافية بشقيها الطبيعى والبشرى ، ومن غير أن تتضرر عناصر وسياق البحث . ومن غير هذا التوازن ، بين عامل المكان ، وعامل الزمان ، قد يفتقد هذا البحث الجغرافى المركب موضوعيته .

الفكر الجغرافى الحديث والمنهج الجغرافى التحليلى الأصولى:

لقد أفلح الفكر الجغرافى الحديث ، فى النصف الأول من القرن العشرين ، فى وضع الجغرافية فى المكان الصحيح ، بين زمرة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، فلقد انكب الإجتهاد الجغرافى على تأكيد موضوعية علم الجغرافية ، على صياغة وضعه التجريبى . ومن خلال البحث الموضوعى الجغرافى المتخصص . ومن ثم باتت الجغرافية علماً تركيبياً تحليلياً فى وقت واحد . وقد استهدفت من التركيب والتحليل وصياغة وبناء النتائج ، التى تمثلت فى تجسيد الرؤية الجغرافية وتشريحها ، لحساب الإنسان ومسيرة حياته على الأرض وتفاعله معها طلباً لعطائها .

وكان من الطبيعى عندئذ أن يخضع علم الجغرافية ، وهو يعبر عن الفكر الجغرافى الحديث ، لكل ما يمليه المنطق العلمى الصحيح شكلاً وموضوعاً . بل وكان من المؤكد أن تتوافق أو تساير نتائج البحث

---

(١) تفضل الجغرافية هذا البحث المركب عندما تغطى دراسة جغرافية فى إطار دولة على وجه الخصوص . بمعنى أن يكون الدولة اقليماً سياسياً ، وأن يكون التطور ومتابعة سبيلاً ومنهجاً لتغطية البحث الجغرافى المتطور فى هذا الاقليم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجغرافى الموضوعى ، كل المفاهيم الموضوعية المتطورة . ومن ثم لم تتعارض أو لم تتناقض نتائج الأبحاث الجغرافية الموضوعية ، مع نتائج كل العلوم التى ينهل الإجتهاد الجغرافى من معينها المثمر . وكيف نتوقع التعارض أو التناقض ، والجغرافية تعتمد على هذه النتائج التى تعرف كيف تأخذها من العلوم الطبيعية أو من العلوم الانسانية وتطوعها علميًا وموضوعيًا لحساب البحث الجغرافى ، وهو يسجل إضافاته المفيدة .

وفى إطار أى منهج من مناهج البحث العلمى ، كان من شأن الإجتهاد الجغرافى أن يخطو خطوات أساسية لتجسيد الرؤية الجغرافية. وتتمثل هذه الخطوات فى التوزيع والتعليل والربط . بمعنى أن يتولى الإجتهاد الجغرافى مهمة أو مسئولية ، تطويع الظاهرة المعنية تطويعًا موضوعيًا لحساب البحث الذى يجسد رؤيتها جغرافيًا ، من خلال التوزيع والتعليل والربط . ومن غير ذلك التطويع ، لا تكون الدراسة التركيبية التحليلية للظاهرة الجغرافية المعنية ، متكاملة أو موضوعية . وهكذا أصبح الإلتزام بالتوزيع والتعليل والربط ، إلتزامًا مؤكداً وضرورياً ، لكى يحقق الإجتهاد الجغرافى أهداف البحث الجغرافى الموضوعى شكلاً وموضوعاً .

والتوزيع ، قضية ملحة تمليها طبيعة البحث على الإجتهاد الجغرافى ، وهو ينكب على دراسة أى ظاهرة جغرافية . ويمثل هذا التوزيع فى إطار المكان على أى مستوى من المستويات ، نقطة البداية الصحيحة لرصد ومتابعة مدى إنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان والزمان . ومن خلال التوزيع الذى تسفر عنه عمليات الملاحظة أو المعاينة أو الحصر على مستوى الدراسة الميدانية ، أو الدراسة المعملية ، أو الدراسة المكتبية ، يستشعر الإجتهاد الجغرافى – بالضرورة – مسألتين هامتين موضوعياً .

وتصور المسألة الأولى ، مدى إنتشار هذه الظاهرة الجغرافية المعنية، سواء كانت طبيعية أو بشرية ، على مستوى المكان .

أما المسألة الثانية ، فتصور إحتمالات التكرار والتجانس فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوزيع، أو الإختلاف والتنوع فى الإنتشار ، على مستوى المساحة المعنية فى المكان.

ومن شأن المساحة التى يتعين توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية فيها، ألا تخضع لضابط سوى ما يمليه البحث فقط . بمعنى أن ليس ثمة إلتزام بمساحة معينة ، فقد يستغرق التوزيع لحساب البحث الجغرافى إقليمًا بذاته أو قطراً بعينه ، أو قارة برمتها ، أو العالم كله . والمهم أن يتأتى التوزيع لكى يسجل أو يعبر – بكل الصدق والواقعية – عن مدى إنتشار الظاهرة المعنية ، فى أنحاء المساحة المنتخبة تعبيراً كاشفًا للرؤية الجغرافية . بل ينبغى أن يضع هذا الإجتهاد الجغرافى التوزيع بالشكل الأفضل ، الذى يكاد ينبىء بما يعنيه ، أو يفضى بما تتصوره الرؤية الجغرافية للظاهرة المعنية .

ولا يفلح الإجتهاد الجغرافى فى إنجاز هذه المهمة التى تجسد الرؤية الجغرافية ، إلا إذا بنى هذا التوزيع على معرفة راسخة ومعاينة مستمرة، تستوعب إنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، على مستوى المكان فى المساحة المنتخبة . ومن الجائز أن تلهم المعاينة الإجتهاد الجغرافى التشابه الكاشف ، لمدى إنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية . ولكن المؤكد أن إستخدام الخريطة لبيان هذا التوزيع ، يبصر الإجتهاد الجغرافى بهذا الإنتشار على مستوى المكان فى المساحة المعنية . .

ومن الضرورى أن يتناول الإجتهاد الجغرافى معنى وكنه هذا التوزيع ، ومدى الإنتشار بشىء كبير من المرونة ، إيماناً منه بحقيقة أن سنة الطبيعة لا تعرف التكرار من خلال التماثل ، ولكنها تكرر من خلال التشابه فقط . بمعنى ألا يلتزم بالتكرار المتماثل مادامت سنة الخلق والتكوين ، لا تعرف ولا تجيد ولا تحرص على هذا التماثل . ومعناه أيضاً القبول بالتشابه كحد أقصى فى متابعة إنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية وتوزيعها ، على مستوى المكان فى المساحة المعنية ، سواء كانت طبيعية أو بشرية .

هذا ويكون التوزيع الذى يزداد وضوحًا وتعبيراً عن رؤية الظاهرة الجغرافية المعنية ، من خلال إستخدام الخريطة الجيدة الصحيحة ، مدخلاً مناسبًا ومفيداً . ذلك أنه يسعف الإجتهاد الجغرافى ، ويبصره

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى أداء دوره وإنجاز خطوة هامة وموضوعية ، لحساب البحث الجغرافى. ولدى دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية ، على مستوى المكان فى المساحة المعنية أو المنتخبة ، لا يكاد ينطق التوزيع بالصدق تصويراً وتعبيراً ، أو أن يشير الإنتباه ذكراً ووصفاً فقط ، بل أنه يمثل – بكل تأكيد – المقدمة المنطقية واليقينية المطلوبة بالحاح ، لكى يتولى الإجتهاد الجغرافى مهمة تعميق البحث الموضوعى ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية . بمعنى أن الفراغ من أداء أو إنجاز هذه المقدمة ، يفرض على الإجتهاد الجغرافى أن يخطو الخطوة الثانية ، التى تنشأ تأسيساً على ما تنبىء به هذه المقدمة ، التى أسفر عنها التوزيع الجغرافى للظاهرة المعنية فى المكان والزمان .

والتحليل قضية أخرى يفجرها عرض التوزيع الكاشف لمدى إنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية تفجيراً مباشراً . ويكون هذا التفجير وكأنه نداء للعقل ، لكى يبصر الإجتهاد الجغرافى ويرشده ، فى مواجهة هذه القضية . ويستهدف الإجتهاد الجغرافى – عندئذ – التسلل إلى ما وراء الرؤية الجغرافية المعنية ، لكى يتلمس التفسير المعقول المقنع، بشأن هذا التوزيع والإنتشار على مستوى المكان . وكأن المطلوب أن يتفرغ الإجتهاد الجغرافى ، أو أن ينكب الإجتهاد الجغرافى على معين خبراته ، للبحث عن العوامل التى تشترك بشكل أو بآخر ، فى صياغة وتكوين الظاهرة المعنية ، أو التى تتحمل بشكل أو بآخر مسئولية إنتشارها ، الذى ينبىء به التوزيع الجغرافى على مستوى المكان فى الزمان .

ومن شأن الإجتهاد الجغرافى – على كل حال – أن يعمل –بكل المهارة – وأن يطوع خبراته المكتسبة ، وهو يتلمس السبب أو الأسباب التى تبدو بمثابة ضوابط حاكمة commanding factors ، للتوزيع الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية ، ومدى إنتشارها على مستوى المكان . بل ينبغى أن يلتزم الإجتهاد الجغرافى إلتزاماً علمياً وموضوعياً، بتحديد وإستخلاص القواعد والأسس، التى تفرض هذه الضوابط الحاكمة ، وكيف تخضع توزيع وإنتشار الظاهرة الجغرافية المعنية لنظام معين . كما ينبغى أن يلتزم أيضاً بتفسير ، كيف يحدث الشذوذ فى بعض الأحيان، وكيف لا ينصاع التوزيع الشاذ، لهذه الضوابط الحاكمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكى يكون التعليل منطقياً وموضوعياً ، ولكى يكون مقبولاً شكلاً وموضوعاً ، يتعين أن تكون خبرة وإمكانيات الإجتهاد الجغرافى واسعة وفضفاضة . كما يتعين أن تكون خلفية هذا الإجتهاد ثرية ومدعومة، بنتائج العلوم الطبيعية والبشرية ، التى تسعف أداءه الموضوعى . وقد يستشعر الإجتهاد الجغرافى حاجة إلى المرونة التى تظاهر صدق حسه الجغرافى ، فى إطار الأسلوب التحليلى التركيبى ، الذى ينبغى أن يلتزم به ، إلتزاماً موضوعياً ، وهو يستخلص ويصوغ أو يجسد التعليل .

ونجاح أو توفيق هذا الإجتهاد الجغرافى فى إستخلاص وتجسيد التعليل ، وحسن صياغته من خلال الأسلوب التحليلى التركيبى فى وقت واحد ، لا يمثل غاية مجردة أو مطلقة مطلوبة لذاتها . بل ينبغى أن يتخذ الإجتهاد الجغرافى من هذا التوفيق مطية أو وسيلة ، لكى يخطو خطوات مهمة ، من خلال البحث العلمى ، وصولاً إلى تصور موضوعى، يجسد العلاقة بين السبب والنتيجة . ومن ثم تصبح هذه العلاقة نتيجة موضوعية تضيف إلى الجغرافية إضافة معنية ، وهى – من غير شك – عدة الإجتهاد الجغرافى وعدته ، وهو يرسى قواعد وأسس أصلية وأصيلة ، تكسب الجغرافية صفاتها العلمية . هذا بالإضافة إلى أنها تحدد مكان الجغرافية ومكانتها الحقيقية ، بين زمرة العلوم الطبيعية والإنسانية .

والربط قضية ثالثة ينتهى إليها الإجتهاد الجغرافى بعد أن يشبعه التعليل ويرضيه علمياً . ويعبر هذا الربط عن هدف موضوعى ، يلتزم به الإجتهاد الجغرافى إلتزاماً جاداً ، من أجل إستكمال موضوعية البحث وعمقه ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية . ومن شأن هذا الإلتزام الجاد ، أن يحفز الإجتهاد الجغرافى ، ويدعو إلى أقصى درجات المرونة والانفتاح ، لكى يتلمس العلاقة أو العلاقات ، بين الظاهرة الجغرافية المعنية، وبعض الظاهرات الجغرافية الأخرى على مستوى المكان . وبنفس القدر من الحوافز ، يتطلع الإجتهاد الجغرافى إلى إدراك العلاقة أو العلاقات الموضوعية ، بين الظاهرة الجغرافية المعنية، وبعض الظاهرات غير الجغرافية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن خلال الإجتهاد الجغرافى المرن ، ومن خلال حسن إستخدام الخبرة الجغرافية فى تقصى العلاقات ، التى تسفر عنها دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية ، قد يتأتى إدراك فاعلية العلاقة أو العلاقات ، بين الظاهرة الجغرافية المعنية وغيرها من الظاهرات الأخرى ، سواء كانت هذه العلاقات سلبية أو إيجابية . وعندما يفلح هذا الإجتهاد الجغرافى فى إستشعار سلبية أوايجابية ، العلاقات من خلال أسلوب كاشف لماهيتها الإيجابية أو السلبية ، تتكشف له رؤية الأبعاد الجغرافية التى تعمل عمل العامل المؤثر، أو الضابط الحاكم للظاهرة الجغرافية المعنية.

ومن خلال تأكيد قدرة الإجتهاد الجغرافى على رصد وإدراك معامل الإرتباط ، وتحديد العلاقة بين الظاهرة الجغرافية المعنية ، وغيرها من الظاهرات ، يحقق تفوقاً بالفعل ، فى صميم العمق الموضوعى العلمى الباحث بمرونة وكفاءة عن أصول الظاهرة الجغرافية المعنية ، ومدى تأثيرها أو تأثرها بالظاهرات الأخرى . ومن ثم يتخذ الإجتهاد الجغرافى من هذا التفوق فى الربط معطية ، لكى يسجل بالفعل الإضافة أو المهامة ، لحساب الجغرافية ودورها البناء ، فى خدمة الإنسان بصفة عامة .

ولئن كان التوزيع والتعليل والربط ، يقود الإجتهاد الجغرافى فى مراحل تسفر عن صياغة البحث الجغرافى العلمى عن الظاهرة الجغرافية المعنية على مستوى المكان ، فإن تنفيذ العمل البناء لحساب هذه الصيغة يبنى على ثلاثة أمور ، هى ١- الدراسة الميدانية ٢- حسن إستخدام الخريطة ٣ - الإطلاع الواسع فى الدراسة المكتبية . وهذا معناه أن يعتمد الإجتهاد الجغرافى على هذه الأمور ، فى التجهيز والإعداد ، لعملية صياغة أو إنجاز البحث الجغرافى عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، ومعناه أيضاً أن يبدأ الاجتهاد الجغرافى فى أداء مهمته ، من بعد اثارة واستنفار الحس الجغرافى ، وتنشيط استشعاره للظاهرة الجغرافية المعنية .

إنجاز البحث الجغرافى :

عندما يعكف الإجتهاد الجغرافى على إنجاز بحث جغرافى ، يتعين إستطلاع المكان وتحديد أبعاده ، ووضع الإطار العام التى يتفرغ له هذا البحث . كما يتعين رصد الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى حدود هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإطار العام . ومن ثم تبدأ الخطوات الرتيبة التى تسعف الإجتهاد الجغرافى ، وهو يتقصى كل الحقائق ، التى تكفل تنفيذ وإخرج هذا البحث الجغرافى العلمى أو إنجازه انجازاً موضوعياً علمياً .

والدراسة الميدانية ، خطوة ميدانية فى الحقل ، وهامة لحساب هذا الإنجاز . وقد تستوجب الدراسة الميدانية أكثر من زيارة للمكان . وتكون الزيادة الأولى زيارة عامة تستهدف الرؤية الجغرافية والمسح الجغرافى العام(١)، ومن الجائز أن يضع الإجتهاد الجغرافى خطة ترشد الزيارات التالية ، سواء كانت زيارات عابرة سريعة للميدان ، أو كانت زيارات مقيمة لبعض الوقت فى الميدان . ولكن المؤكد أن تكفل هذه الزيارات المتوالية على فترات ، والزيارات المقيمة لبعض الوقت معايشة الظاهرة الجغرافية المعنية ، وإطلاق العنان للحس الجغرافى لكى يستشعرها ، وللإجتهاد الجغرافى ، لكى يستثمر رؤيتها وتأملها عن كثب ، أو لكى يجسد الإنطباع عن وجودها فى الميدان ، فى أحضان الصورة الجغرافية الكلية .

ومن الجائز أن تكون المعاينة أو المشاهدة المباشرة فى الميدان ، من وراء الملاحظة وإستطلاع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى إطار الرؤية الجغرافية المباشرة(٢). ولكن المؤكد أن الأقامة (٣) ، هى التى تكفل معايشة

---

(١) قادت المدرسة الجغرافية الفرنسية حملة ترسيخ مكان ومكانة فى الدراسة الجغرافية ، لحساب البحث الجغرافى . وفى تقدير هذه المدرسة ، أن الدراسة الميدنية رؤية مباشرة ومعاينة ومعايشة ، تعطى الإنطباع المفيد عن الواقع الجغرافى فى الميدان . ولو حقق الإجتهاد الجغرفى حسن إستخدام هذه الدراسة الميدانية ، لأفلح فى نهاية الأمر فى إنجاز البحث الجغرافى الممتاز . (ومن أقوال فيدال دى لا بلاش عن الدراسة الميدانية)
« لا تستطيع الكتب وحدها – بقصد الدراسة المكتبية التى تعتصر إجتهاد الجغرافيين السابقين ، أن تؤلف أكثر من جغرافية متواضعة . وإنا ما أضيفت الخرائط إلى هذه الجغرافية المتواضعة كانت أفضل . ولكن الجغرافية الجيدة أو الأفضل ، هى التى تؤخذ من معاينة الطبيعة – يعنى الرؤية الجغرافية – واستطلاعها » .

(٢) كان الفريد هنتر من رجال المدرسة الجغرافية الألمانية ، الذين اعتبروا الدراسة الميدانية والمعاينة نقطة الإنطلاق الحقيقية ، التى يبدأ من عندها البحث الجغرافى الجيد .

(٣) تكون الاقامة camping فى بعض الأحيان فى موقع منتخب فى معسكر =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الظاهرة الجغرافية المعنية لبعض الوقت ، وتكون كفيلة بالاجابة على كثير من التساؤلات ، التى تتدافع فى عقل الباحث الجغرافى ، وهو يرقبها ويتأمل وجودها فى إطار الرؤية الجغرافية الكلية المباشرة فى الميدان . وما من شك فى أن تكرار الزيارات يكون – بالضرورة – وليد الحاجة ، التى يمليها الحس الجغرافى ، ويستجيب لها الإجتهاد الجغرافى، وهو يطلب كشف النقاب أو إجلاء الغموض ، عن بعض الضوابط الحاكمة ، من وراء الظاهرة الجغرافية المعنية (١) .

وفى كثير من الأحوال ، يجهز الباحث الجغرافى قائمة تضم كل الأسئلة ، التى يتلمس الحصول عن أصدق إجابة صحيحة وواقعية عنها من الميدان . بمعنى أن الباحث الجغرافى يطل على الظاهرة الجغرافية، وكأنه يقرأ كتاباً مفتوحاً يبصر رؤيته لها ، ويجيب على التساؤل الحائر عنها . وقد يضيف الباحث الجغرافى إلى ذلك كله ، بعض الملاحظات الجوهرية التى تسترعى إنتباهه ، ويفطن إليها حسه الجغرافى ، وهو يستشعر وضع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى إطار الرؤية الجغرافية الكلية فى الميدان . وعندئذ يمسك الإجتهاد الجغرافى بأطراف خيوط بعض العلاقات الإيجابية والسلبية ، بين الظاهرة الجغرافية والظاهرات الأخرى .

ومن خلال الرؤية الجغرافية المتكررة وتسجيل الملاحظات، وتقصى العلاقات ومعايشة الظاهرة الجغرافية المعنية ، وإجلاء الغموض عن بعض أو كل الضوابط الحاكمة لها ، فى إطار الرؤية الجغرفية الكلية فى الميدان ، ينجح الإجتهاد الجغرافى فى خلق وإنشاء قنوات إتصال بين التجربة الحية من خلال المعاينة على الطبيعة فى الميدان ، والتجربة

= عمل جغرافى ، سواء اشترك فى البحث جماعته أو انفرد به واحداً من هذه الجماعة .

(١) وضع ديمارتون الجغرافى الفرنسى ، مبدأ الرحلات الجغرافية الجماعية لطلاب البحث الجغرافى فى الجامعة . وفى اعتقاده أن رؤية الفريق تعمق الخبرة بالمعاينة وتسجيل الملاحظات ، وتنمى إستخدام وتوظيف الحس الجغرافى ، فى جنى ثمرات الدراسة الميدانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العملية من خلال العمل فى المختبر ، هذا معناه أن الدراسة الميدانية لا تسعف الإجتهاد الجغرافى ، فى توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان ، ولا ترشد البحث عن التعليل المقبول لهذا التوزيع الجغرافى فقط، بل إنها تبصر الإجتهاد الجغرافى ، وهو يمسك بزمام الربط بينها وبين بعض الظاهرات الأخرى ، أو وهو يستشعر ماهية هذا الربط وما ينبنى تأسيساً عليه فى إطار الرؤية الجغرافية الكلية فى المكان والزمان .

وهكذا نتبين كيف يطرق الإجتهاد الجغرافى باب الدراسة الميدانية ، وكيف يجنى ثمرة الانفتاح على الرؤية الجغرافية الكلية فى المكان . وعندئذ يتسلل من خلال الكل إلى الجزء ، وهو يعاين ويعايش الظاهرة الجغرافية المعنية فيه . وهذا – من غير شك – سبيل من أفضل سبل تجهيز الإستبيان ، وتلقى الردود على الإستفسارات من الميدان . بل أنه سبيل إستيعاب الظاهرة الجغرافية المعنية ، الذى يشحذ الحس الجغرافى ويستنفر التأمل فيه ، وصولاً إلى تجسيد الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية .

والظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت طبيعية أو بشرية ، لا تتكشف أبعادها أمام الباحث الجغرافى ، ولا تفشى أسرارها له ، إلا من خلال هذه الدراسة الميدانية . ومن الجائز أن تتنوع أساليب وخطط البحث والعمل فى الميدان ، من موضوع إلى موضوع آخر ، أو من باحث إلى باحث آخر . ولكن المؤكد أن هناك إتفاق على جدوى هذه الدراسة الميدانية ، وهى تفتح للإجتهاد باباً ، وتبصره وتلهمه ، وصولاً إلى ما ينبغى أن يكون عليه البحث، من حيث الشكل، ومن حيث الموضوع بل قد تسعف الإجتهاد الجغرافى ، وهو يسجل الإضافة المفيدة عن الظاهرة الجغرافية المعنية .

وإستخدام الخريطة ، ضرورة حيوية لإنجاز البحث الجغرافى . وقد يكون هذا الإستخدام مسألة مفيدة إلى أبعد الحدود ، لحساب الإجتهاد الجغرافى فى الدراسة الميدانية أو فى الدراسة المكتبية على حد سواء . بل أنها تتمم مهمة الإجتهاد الجغرافى ، لدى إنجاز البحث وإعداده فى الصورة النهائية . ذلك أنها تشترك اشتراكاً مفيداً مع الكلمة المكتوبة فى وضوح الرؤية الجغرافية والتعبير عنها . وهذا معناه أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استخدام الخريطة يسعف الإجتهاد الجغرافى ، فى أداء ترتضيه موضوعية البحث الجغرافى .

وهناك نوعان من الخرائط التى يهتم بها الإجتهاد الجغرافى ، ويتعين عليه إستخدامها لإنجاز البحث الجغرافى ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية . والنوع الأول من هذه الخرائط ، يكون قد أعد سلفاً ومن شأن هذا النوع أن يعين الإجتهاد الجغرافى ، ويرشد خطاه فى أثناء الدراسة الميدانية أحياناً ، أو أن يعين الإجتهاد الجغرافى وتطلعه على ثمرات الإجتهاد الجغرافى الذى سبقه ، فى أثناء الدراسة المكتبية أحياناً أخرى . أما النوع الثانى من الخرائط ، فهو الذى ينكب الإجتهاد الجغرافى على إعداده بنفسه ، فى أثناء الدراسة الميدانية والدراسة المكتبية. ومن شأن هذا النوع أن يودع الإجتهاد الجغرافى فيه رؤيته الجغرافية وحصاد بحثه ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، بمعنى أن إستخدام هذا النوع الأخير من الخرائط التى ينجزها الإجتهاد الجغرافى، يحقق إضافة تدعم دوره البناء ، فى إنجاز البحث الجغرافى عن هذه الظاهرة .

وبقدر ما يسفر الإجتهاد الجغرافى عن بعض إضافات مفيدة ، تزخر بها الخرائط ، أو الرسوم البيانية ، وتسجل ثمرات المسح الجغرافى ، لحساب التطور والتجديد ودفع مسيرة الفكر الجغرافى الحديث إلى ما هو أفضل ، يتطلع الإجتهاد الجغرافى إلى استخدام الخرائط المجهزة بالفعل ، فيطل من خلالها على الظاهرة الجغرافية المعنية فى البحث . ومجموعة الخرائط الجاهزة أو التى يتولى الإجتهاد تجهيزها ، تمثل – بكل تأكيد – سجلاً دقيقاً يصور الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية . بل ويكون لهذه الخرائط من النوعين دائماً، تفوق الإيجاز فى العرض والتعبير ، عن غير خلل فى البيان ، أو من غير عجز فى التجسيد .

وينبغى أن نشيد أو نطرى الإجتهاد الصادق ، الذى تعاون فى إنجازه زمرة كبيرة من الجغرافيين والمساحيين والرسامين فى القرن العشرين ، وصولاً إلى إعداد الخرائط الممتازة . وقد وضعت هذه الخرائط بمقاييس رسم متنوعة ، لكى تصور أو تعبر عن الرؤية الجغرافية على مستوى العالم ، أو مستوى القارة ، أو مستوى القطر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا بالإضافة إلى إعداد اللوحات التى تبين التوزيع الطبوغرافى والجغرافى ، فى إطار المساحات الصغيرة ، سواء صار تجهيزها باليد الماهرة الخبيرة ، أو تأتى تصويرها من الجو . وما زال الإجتهاد الفنى والجغرافى يعكفان على تحسين أساليب إعداد الخرائط وتجهيزها ، لحساب المعرفة الجغرافية الأفضل .

ومن أجل ترشيد الإجتهاد الجغرافى فى حقل الدراسة الميدانية ، يكون إهتمام الجغرافى بالخرائط وحسن إستخدامها اهتماماً من غير حدود . ويحفز إهتمام الجغرافى الخبراء والفنيون ، لكى يتوالى ابداع أو ابتكار القواعد الأصولية الأفضل وأساليب التنفيذ الأحسن ، لبيان التوزيعات وحسن دلالتها وجودة التعبير على الخرائط . ويتفق الباحثون فى حقول الدراسات الميدانية ، على أن حسن وصدق التوزيع الجيد على الخرائط السابقة التجهيز ، لحساب الظاهرة الجغرافية المعنية ، أو حسن إنشاء وإعداد وبيان التوزيع على الخرائط التى يجهزها الباحث، يخدم البحث الجغرافى الموضوعى ، ويبصر الإجتهاد الجغرافى الذى يتصدى له .

ولا ينبغى أن ننكر أو نتنكر للخرائط الجيدة والدلالة التى تعبر عنها، وهى تقود الباحث الجغرافى وترشد إجتهاده البناء ، عندما تتكشف له من خلال الرؤية الجغرافية العلاقات الإيجابية أو السلبية ، بين الظاهرة الجغرفية المعنية ، والظاهرات الأخرى التى يعبر عنها التوزيع على الخرائط . ومن الجائز أن يصبح هذا البيان الموجود الكاشف للعلاقات ، هدفاً مطلوباً فى حد ذاته . ولكن المؤكد أن هذا البيان يخدم الربط الموضوعى ، وهو غاية من الغايات ، التى تتكامل بموجبها البنية أو الصياغة الموضوعية للبحث الجغرافى عن الظاهرة المعنية .

والمطلوب من الإجتهاد الجغرافى فى حقل البحث أو الدراسة الميدانية(١) ، أو فى حقل البحث، أو الدراسة المكتبية(٢) ، أن يسعى – بكل

---

(١) الدراسة الميدانية Field Work دراسة عملية تجريبية تطالع الصورة الجغرافية المعنية فى المكان .

(٢) الدراسة المكتبية Arm-chair Work دراسة نظرية تأملية تطالع ما تحتويه الكتب والمراجع والمصادر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفطنة – إلى حسن التعبير وجودة الدلالة ، لدى توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، على الخريطة التى يعدها أو يجهزها ، لحساب البحث والإضافة العلمية ، والمطلوب منه أيضًا أن يحسن إستخدام الخرائط سابقة التجهيز ، وهى التى تسعفه ، وهو يستخلص النتائج المنطقية لحساب التحليل ، أو لحساب الربط اللذين يوطدان أركان البحث الجغرافى . وإذا كانت قوة الملاحظة وذكاء الحس الجغرافى ، وتفوق الإدراك والإستشعار فى إستخلاص الكل من الجزء ، أو إستخلاص الجزء من الكل ، مسائل حيوية وضرورية ، ينبغى أن يتزود بها الإجتهاد الجغرافى لحساب التحليل والربط ، فإن الجغرافى مهما أوتى من هذا الزاد ، فلن يغنيه فتيلاً عن حسن إستخدام الخريطة سابقة التجهيز ، وعن حسن تجهيز الخريطة ، وهو يجمع أطراف النتائج ويصوغ منها بحثه الجغرافى ، عن الظاهرة المعنية .

وبهذا المنطق ، أصبحت الخبرة الجغرافية المتفتحة والمنفتحة ، من وراء حسن التجهيز وصناعة الخرائط ووضوح دلالتها ، كما أصبحت الخرائط الجيدة ودلالة تعبيرها الواضح ، من وراء الخبرة الجغرافية المجددة والمتطورة . والخرائط الجيدة من غير شك – تيسر للإجتهاد الجغرافى مهمته ، وترشد أداءه وهى توجز التعبير الجلى الناطق بعمق وأصالة الرؤية ، التى أعدت وجهزت هذه الخرائط . وكيف لا تكون كذلك ، وهى تفتح الباب على مصراعيه ، لكى يتقصى الإجتهاد الجغرافى من خلال الرؤية المركزة الفكرة المفيدة ، ولكى يسجل الإضافة المجددة ، لحساب الرصيد المتطور للفكر الجغرافى الحديث .

ومهما يكن من أمر ، فلا ينبغى أن يقف تعبير الإجتهاد الجغرافى وبيانه عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، عند حد إستخدام الكلمة المكتوبة وحدها . بل يتعين عليه أن يستخدم الخريطة والرسم البيانى ، لكى يدعم هذا التعبير ، أو لكى يجسد هذه الدلالة ، لدى معالجة وعرض الحقائق الجغرافية عن الظاهرة الجغرافية المعنية . ومن خلال الكلام المكتوب والخرائط المعبرة يكون البحث الجغرافى–بالضرورة – أفضل .

والإطلاع الواسع هو حصاد الدراسة المكتبية عن الظاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجغرافية المعنية . وسواء كان القصد أن يبدأ البحث من حيث انتهى كل الإجتهاد الجغرافى السابق ، أو كان الهدف إثراء الخلفية والتزود برصيد عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، فإن الدراسة المكتبية تكون هادفة ومفيدة، لأنها تشد أزر الإجتهاد الجغرافى وتسعفه وتظاهره فى أداء مهمته. وهذا معناه أن الإجتهاد الجغرافى الذى ينكب على إعداد بحث عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، لا يبدأ ولا ينبغى أن يبدأ من فراغ ، بل ينبغى أن يلتزم هذا الإجتهاد بما سبقه إليه بعض الباحثين ، ويحرص على أن يكون حصاد بحثه إضافة مجددة إليه .

ومن خلال الدراسة المكتبية التى تكفل الإطلاع على المدى الواسع ، يجد الإجتهاد الجغرافى فى جعبته ، رصيداً من المعرفة والمعلومات والبيانات ، التى يتزود بها وتنفعه فى أداء دوره الوظيفى البناء ، لدى إعداد وتجهيز البحث عن الظاهرة الجغرافية المعنية . ولئن كان توسيع دائرة الإطلاع على الإنجاز الجيد ، الذى يثرى به التراث الفكر الجغرافى بحكم التخصص مسألة مفروغ منها ، لحساب حسن الصنعة والأداء ، فإن توسيع دائرة الإطلاع على نتائج بعض العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية مسألة ينبغى أن يلتزم بها الإجتهاد الجغرافى ، لحساب التفوق فى الصنعة والجودة فى الأداء .

ومن شأن الدراسة المكتبية التى تزود الخبرة الجغرافية بهذا الرصيد من النتائج ، أن تخدم ديناميكية التحليل والتركيب ، وهو يبدع فى إنجاز البحث الجغرافى ، بل ومن شأن هذه الدراسة المكتبية، التى تعمق الخبرة الجغرافية ، أن تصعد كفاءة التعليل والربط وتجسيد العلاقات وهو يدعم إنجاز البحث الجغرافى . وهذا معناه أن الدراسة المكتبية ، تفتح الباب على مصراعيه ، لكى يستخلص الإجتهاد الجغرافى أسباب الإبداع والدعم للبحث الجغرافى ، ولكى يسفر عن النتائج الموضوعية التى تضيف الجديد الى البحث الجغرافى ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية.

ومن غير الإطلاع الواسع وحسن إستيعاب ما يسفر عنه هذا الإطلاع ، يفتقد الإجتهاد الجغرافى واحدة من أهم وسائله ، وهو يمارس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث الجغرافى الموضوعى عن الظاهرة الجغرافية المعنية . كما يفتقد الإضافة إلى الإنجازات السابقة ، وتجنب الزلات التى إنحدرت إليها هذه الإنجازات . وكيف لا يفتقد الإجتهاد الجغرافى ذلك كله ، إذا هو إنغلق وإمتنع بقصد أو من غير قصد عن إستيعاب رؤية غيره ، أو تطويع النتائج العلمية التى تلهمه أو تسعفه وتظاهره ، لدى التعليل والربط وصياغة حبكة الموضوع شكلاً وموضوعًا . وهذا معناه أنه يتعين أن يتدرب الاجتهاد الجغرافى من خلال الدراسة المكتبية ، على أن يجعل من الإطلاع الواسع منهلاً يزوده ، ويشبعه وهو يؤدى دوره الوظيفى . ومعناه أيضًا أنه يجب أن يتدرب الإجتهاد الجغرافى على تجميع أوصال بحثه ، من هذا المعين ، قبل أن يبدع ويضيف ، وهو ينجز البحث الموضوعى .

وحاجة الجغرافى للاحاطة بنتائج العلوم الطبيعية وإستيعابها وحسن الإنتفاع بها ، تكون ملحة ومتوازية ، مع حاجته أيضًا للاحاطة بنتائج العلوم الإنسانية واستيعابها وحسن الإنتفاع بها . ومن شأن البحث فى الشق الطبيعى ، أو الشق البشرى من الجغرافية ، أن يدعو – بكل الإلحاح – إلى إستشعار هذه الحاجة والتزود بها . ومن ثم يلتزم الإجتهاد الجغرافى بتنمية خلفيته ، واثرائها وتزويدها بهذه النتائج العلمية الطبيعية والإنسانية . والمقصود أن يمتلك الجغرافى معيناً لا ينضب زاخر بالخبرات العلمية . والمتوقع دائماً أن يسعفه هذا المعين الإجتهاد الجغرافى ويشد أزره ، فى دراسة الواقع الطبيعى أحياناً ، وفى دراسة الواقع البشرى أحياناً أخرى . وقد يحتاج الإجتهاد الجغرافى إلى تدريب ، يكسبه القدرة على إستخدام حصاد هذا المعين ، التى يسفر عنه الإطلاع الواسع والدراسة المكتبية .

الفكر الجغرافى الحديث وبنية علم الجغرافية :

عندما بلور الفكر الجغرافى الحديث أهدافه ، وحمل علم الجغرافية مسئولية هذه الأهداف ، انتهى ذلك إلى صياغة بنية علم الجغرافية ، صياغة تصور أكبر قدر من الإستجابة لأهداف الفكر الجغرافى وتطلعاته . ومن المفيد أن يتبين كيف كانت صياغة هذه البنية ، التى ربما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دعت إلى وضع الجغرافية فى مكان مستقل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . وصحيح أن بعض المدارس الجغرافية قد وضعت الجغرافية فى كليات الآداب مع زمرة العلوم الإنسانية ، وأن بعض المدارس الجغرافية الأخرى قد وضعتها فى كليات العلوم مع زمرة العلوم الطبيعية ، وأن فريق ثالث فضل لها مدرسة مستقلة ، بين الوجود الاكاديمى للعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية . ولكن المؤكد أن كل هؤلاء قد أدركوا بنيتها متميزة وأن لها مكان ومكانة منفردة ومتفردة ، بين سائر العلوم .

وسعة إطلاع الجغرافى وغزارة مادته وتنوع ثقافته ورصيده الثقافى ، وحسن إستخدامه نتائج العلوم الطبيعية والإنسانية فى وقت واحد يحقق هدفه ، وربما دعت المجتهدين فى مجال تصنيف بنية العلوم، الى تصور علم الجغرافية على إعتبار أنه علم تركيبى بحت . بمعنى أنه علم ليس من ورائه أكثر من إجتهاد وخبرة فى صياغة التوليفة البارعة والتركيب الجيد الذى ينسق بين نتائج العلوم الأخرى . وصحيح أن صياغة هذه التوليفة البارعة أو التركيب الجيد ، تشهد بمهارة وحنكة وكفاءة الجغرافى ، وتعترف بقدرته على أن يحسن الإنتفاع بنتائج العلوم الأخرى إنتفاعًا موضوعيًا . لكن المؤكد أن هذا التصور يجسد جانباً من بنية علم الجغرافى ، وينكر أو يخفى – بقصد أو من غير قصد – الجانب الآخر .

ومع ذلك فكون الجغرافية علماً تركيبياً لا يمكن ولا ينبغى أن يقلل من شأنها أو شأن الأداء الجغرافى . ذلك أن حسن صياغة التوليفة البارعة المنسقة ، تعنى مهارة لأنها تستهدف غاية مفيدة ، تتمثل من خلال النتائج التى تسفر عنها هذه الصياغة . وفى هذه الصياغة . وفى كل علم نتوقع هذه المهارة ونطلبها . ولكن احداً لا ينبغى أن ينكر حقيقة إجتهاد الجغرافى ، وهو يؤلف من هذه النتائج ويبنى عليها نتائجاً مفيدة . وهذا معناه أن الجغرافى يضيف من حيث انتهى غيره من الباحثين . ومن الطبيعى أن يعتز بهذه الإضافات التى يسفر عنها دوره فى صياغة التركيب الجيد(١) . بل قل أنه يجد فى التركيب قدرة على دعم

---

(١) كل وردة على عودها السوى . تكون جميلة فى حد ذاتها . ومن وراء كل-

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكانته فى المكان ، الذى تقف فيه الجغرافية بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية .

ولكى نتبين الجانب الذى أنكره أو أخفاه التصور غير الكامل لبنية علم الجغرافية ، ينبغى أن نطل من زواية أخرى ، ونجد كيف يحرص الإجتهاد الجغرافى على التعليل والربط الموضوعى على تلمس العلاقات. وهذا علامة على أن الجغرافية علم تحليلى أيضاً . وكيف لا يكون التحليل وارداً ، والإجتهاد لا يكف عن البحث طلبًا وتطلعًا إلى تعميق المعرفة بالظاهرة الجغرافية المعنية رأسيًا وأفقياً ، وإلى تقصى حقيقة الضوابط الحاكمة لها . بل أنه إجتهاد لا يكف ولا يفتر ، وهو يتلمس التعليل والربط ، الذى يعمق التعليل الكاشف عن علاقة الظاهرة الجغرافية بما حولها فى المكان .

وفى هذا المجال التحليلى ، ينبغى أن نشيد بمهارة الإجتهاد الجغرافى ، وهو يحلل الظاهرة الجغرافية المعنية تأسيسًا على خبرة بظاهرها الرصيد ، التى يتزود به الجغرافى من خلال إستيعاب نتائج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . وبنفس القدر من الكفاءة فى التركيب الجيد وصياغة التوليفة ، التى تبرهن على حسن استخدام نتائج العلوم الأخرى ، تكون كفاءة الجغرافى ، وهو يحلل الرؤية الجغرافية تحليلاً واقعيًا علميًا . وهذا معناه أن علم الجغرافيا علم تركيبى وتحليلى فى وقت واحد . وهو كما قلنا يبدأ من حيث إنتهى الباحثين ، لكى يتم المهمة ويسجل النتائج المتخصصة .

وإجتهاد الباحث الجغرافى ، وهو يحلل الظاهرة الجغرافية المعنية ، ويجرى تشريحًا كاشفًا للرؤية الجغرافية ، أو وهو يركب الأوصال ويؤلف الصياغة المركبة التى تجسد الرؤية الجغرافية ، لحساب

– الورود الجميلة إجتهاد البستانى الذى غرسها ورعى نموها وتفتحها لكى تنطق بالجمال . ولكن هل يمكن أن ننكر أو نتنكر لإجتهاد الإنسان الذى يجمع هذه الورود الجميلة ، ويصفها صفًا بديعاً كى يصنع منها الباقة أكثر جمالاً وفتنة ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث وتسجيل النتائج الجغرافية المتخصصة ، يضع الجغرافية والجغرافى فى مكان مرموق بين زمرة الباحثين العلميين . ومن شأن الجغرافية كعلم تركيبى ، ومن شأن الجغرافية كعلم تحليلى ، أن تقيم الجسر ، لحساب العلاقة أو الصلة الموضوعية البناءة ، بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . وبناء على ذلك التصور الكاشف لدور الجغرافى وأداء الجغرافى الوظيفى ، ينبغى أن نتبين – بكل الصدق – مكان الجغرافية بين العلوم ، ومكانة الجغرافى بين الباحثين . وكيف ولماذا لا يكون المكان مناسباً ؟ وكيف ولماذا لا تكون المكانة مرموقة؟ .

وهذا ويمكن التأكيد على أن الفكر الجغرافى الحديث ، الذى تبلورت أهدافه ، واستوى عوده منذ أواخر القرن التاسع عشر ، قد أفلح تماماً عندما وجه الجغرافية ، لكى تتخذ شكل وسمة وموضوعية العلم التركيبى التحليلى فى وقت واحد . وعندئذ افلح علم الجغرافية فى تحمل مسئوليته ، وهو يؤدى دوره الوظيفى المتخصص ، لكى يبصر ويرشد مسيرة الحياة فى المكان على الأرض . وقد نجد السبيل أو الميدان الرحب لكى نفهم وندرك ونقدر جدوى هذا الدور الوظيفى المتخصص . ويستوى فى ذلك أن يكون هذا الدور ايجابياً ، وهو يقيم الصلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، أو وهو يحسن صياغة وإستخلاص النتائج الموضوعية المفيدة ، تأسيساً على هذه الصلة .

وهكذا إلتزم الفكر الجغرافى الحديث فى مسيرته التى بدأت بداية متأنية فى القرن السابع عشر ، ثم سددت خطاها فى القرن العشرين بولاء شديد ، للمهمة التى تكفل بها لحساب الحياة . وقد تكشفت لهذا الفكر الجغرافى الحديث اغوار المعين الذى نهل منه . وتعلم الإجتهاد الجغرافى كيف يثرى خلفيته ثراء عريضاً ، وهو ينطلق فى ميدان البحث الجغرافى الفسيح .

والجغرافى الصحيح فى القرن العشرين هو الذى تعلم كيف ينتفع بالمعين ويتزود منه بالخبرة ، وكيف يثرى خلفيته وينميها لحساب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحث الجغرافى . بل إنه قد عكف على إتقان مهمته وأداء دوره الوظيفى أداء أصوليًا ومفيداً ، من خلال التركيب والتحليل فى صياغة وتجهيز البحث الجغرافى . ولقد تعلم بعد ذلك كله ، كيف ينبغى عليه أن يضيف بداية من حيث انتهى غيره من الباحثين ، وتعلم كيف يطوع إضافته بمهارة ، لحساب الحياة . هذا بالإضافة إلى أنه تعلم كيف لا يكف عن طلب الأفضل ، حتى أنه إستطاع أن يطور الفكر الجغرافى الحديث ، فى الصورة التى يطالعنا بها الفكر الجغرافى المعاصر ، إعتباراً من حوالى منتصف القرن العشرين .

* * *